البلاغة القرآنية عند العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)

إعداد

حسين أحمد حسين كتانة

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٢٠٠١/٣/٢١

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني - ٢٠٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٧/١/ ٢٠٠٠ وأجيزت

التوقيع

أعضاء اللجنة

١. الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي (المشرف) رئيساً

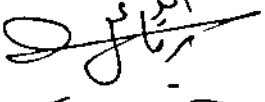

٢. معالي الأستاذ الدكتور محمود السمرة عضواً

٣. الأستاذ الدكتور إسماعيل العمايرة عضواً

٤. الأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى معلم البشرية ومنقذ الإنسانية، إلى سيدي وحبيبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى من غرس في نفسي حب العلم والخير... إلى الذي وهبني كل شيء ... إلى الذي أعطى ولم يرد جزاء ولا شكورا ... إلى روح والدي الطاهرة.

إلى من وصاني ربي ورسوله ببرها والوفاء لها... إلى أمي الحنون.

إلى من سقوني نبع الحب الصافي وقدموا العون لي بسخاء ... إلى إخواني وأخواتي.

إلى أبي الروحي شقيقي أبي محمد.

لهم جميعا أهدي هذا الإنجاز.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر

الشكر لله تعالى أولا وأخيرا.

ثم أتقدم بجزيل الشكر ووافر العرفان للمشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي على ما بذله من جهد في متابعة هذه الرسالة فكانت توجيهاته القيمة عونا كبيرا لي على إخراجها على هذه الصورة وفي هذا الوقت.

ولا أبغي في هذا المقام أن أطيل مدحه ولكن قديما قيل: " ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل"، وكل الفضل للدكتور محمد بركات الذي فتح قلبه وبيته ومكتبته لي، ولم يبخل بإرشاداته وتوجيهاته المثمرة التي انتفعت بها كثيرا.

وأقدم شكري وامتناني لكل أساتذتي الكرام الذين مدوا لي يد العون والمساعدة، وقدموا النصيحة المخلصة والرعاية الكاملة، وتجشموا عناء قراءة البحث ومناقشتي به، وهم الأساتذة الأفاضل:

معالي الأستاذ الدكتور محمود السمرة والأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد.

كما أشكر كل من أسهم في إنجاز هذه الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	ط
الفصل الأول **الإمام العز وكتاب الإشارة ومنزلته البلاغية**	
الإمام العز بن عبد السلام	١
مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام وآثاره العلمية	٦
نسبة كتاب الإشارة إلى الإيجاز للإمام العز	١٠
كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ومنزلته البلاغية	١٣
السمات الفنية لكتاب الإشارة	١٥
المحدثون والإمام العز بن عبد السلام	٢١
اتجاهات العز وآراؤه في علوم اللغة والبلاغة	٢٤
الفصل الثاني: مسائل البلاغة القرآنية عند الإمام العز	
المجاز عند الإمام العز	٣٣
التعلقات المصححات للمجاز عند العز	٣٧
التمهيد	٣٠
المجاز في الأفعال	٣٩
مجاز التضمين	٤٥
المجاز المرسل	٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات	الصفحة
مجاز النسبة (المجاز العقلي)	٦٠
مجاز الملازمة	٦٩
الكناية	٧٥
مجاز التشبيه	٨٢
الاستعارة التمثيلية	٨٨
الأمثال	٩١
مجاز المجاز	٩٣
الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة	٩٥
الخاتمة	٩٧
قائمة المصادر والمراجع	١٠٢
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

البلاغة القرآنية عند الإمام العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)

إعداد
حسين أحمد حسين كتانة
المشرف
الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي

احتلت البلاغة ومباحثها حيزاً واضحاً في بحوث العز بن عبد السلام في مجال العلوم القرآنية والفقهية والكلامية، لكنها لم تحقق من الشهرة ما حققته تلك البحوث، لأن شهرة الإمام العز الأصولية غلبت شهرته اللغوية.

ودرس الإمام العز البلاغة في الإطار القرآني، فهي بلاغة قرآنية تطبيقية جمع فيها آراء البلاغيين والأصوليين في كتاب واحد، لدراسة القرآن الكريم.

وإذا كان العز قد انتفع بجهود السابقين ونقل عنهم، فإنه في كثير من الأحيان أبدى رأيه معقّباً على آرائهم، وهو ما يُكسب بحوثه قدراً من الجدة والأهمية.

وعلى الرغم من أن العز لم يتطرق في كتابه إلى الرسوم والحدود والتعاريف لأقسام المجاز التي يذكرها؛ غير أنه استعاض عن ذلك بالاتكاء على النص القرآني والنصوص الأدبية الأخرى، وتلك طريقة المتذوقين، وهو ما يجافي صنيع من سبقه من البلاغيين الذين يهتمون بالتعريفات كالمناطقة وعلماء الكلام.

وإذا كان العز قد اطلع على كتابات السابقين وأخذ عنها، فإن ذلك لا يمنع أن يكون أصيلا في كثير مما كتب، إذ أعمل عقله فيما سبق، فأضاف وجدد وارتضى وابتكر وأنكر.

والعز يبحث المجاز القرآني من خلال الإيحاءات والأسرار التي تفهم من وراء التعبير القرآني، ويفصّل القول فيما احتوى عليه القرآن من ألوان المجاز وفنونه وضروب الحذف ومحاسنه، وإيجاز الأمثال، وروعة التضمين وما في القرآن من تلوين للخطاب الذي خاطب العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم، ولعله بذلك رد على منكري المجاز في القرآن الكريم، واللغة العربية بوجه عام.

٥٣٨٨٦٠

وحسب كتاب " الإشارة إلى الإيجاز" للعز أن يكون قد أثار موضوعا جديرا بالاهتمام في مجال الدراسات البلاغية، وهو دراسة القرآن الكريم دراسة تطبيقية مفصلة يتناول ظاهرة المجاز بالتفصيل والتحليل لكشف سر البلاغة فيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأثير العز البلاغي فيمن بعده واضح جلي، سواء أكان ذلك في مباحث الأصوليين أم البلاغيين، فقد نقل عنه الخطيب القزويني، وتابعه في ذلك سعد الدين التفتازاني وابن القيم والزركشي والسيوطي.

وهؤلاء جميعاً نقلوا عن العز في أماكن متفرقة، على مساحة فسيحة من صفحات كتبهم. وبعضهم يذكر أحياناً أنه نقل عن العز ولكنه لم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه، وكأنه كره أن يكون لأحد الأصوليين فضل التأثير في بلاغة البيانيين.

وبإضافاته ولمحاته البيانية يمكن تبين الدور الذي لعبه الإمام العز بن عبد السلام في البلاغة القرآنية، وتميزه وتجديده في بعض الموضوعات البلاغية فيما يخدم النص القرآني وفهمه له، من خلال الروح الأدبية التي تميز بها في تناوله لتلك الموضوعات. كما أسهم في إبراز بعض المصطلحات البلاغية وتفصيلها، وأثمرت عقليته البلاغية وحسه المرهف للأي القرآني عن ولادة بعض المصطلحات البلاغية القرآنية،من مثل مجاز المجاز ومجاز التضمين ومجاز التعقيد وغيرها ، فهو قد أبرز جمالها، وأذكى أريجها مزيناً إياها بما استخرجه من شواهد قرآنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد شغلت البلاغة عقول علماء اللغة والأصول، وطغت شهرتها عند علماء اللغة والبيان، وذلك لكونها أحد مرتكزات علوم العربية، واستعان بها علماء الأصول يتوسلونها لفهم القرآن الكريم وسر إعجازه، بل هي عند بعضهم ضرورة لا بد منها للوصول إلى ذلك. ومن بين أولئك العلماء العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) الذي ارتكزت شهرته على إمامته ونبوغه في الفقه الشافعي لدى معظم العلماء قديما وحديثاً، وعلى كونه فقيهاً شافعياً مجتهداً ومفسراً ومصلحاً سياسياً واجتماعياً ودينياً في زمانه، فقد أجمع معاصروه وكبار مترجميه على علو مرتبته في هذه المجالات.

ولقد كانت شخصية العز بن عبد السلام دافعاً قوياً لاختيار جانب من جوانب إبداعه. فقد كان الإمام العز رجلا في أمة نامت عن حقها في قيادة العالم فكان يذكّرها دائما بقوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (سورة آل عمران آية ١١٠)ويصدع بالحق بلسانه وقلمه ويده، فقد حمل حسامه مع قلمه، وسخّر يده مع لسانه لمقارعة الباطل، ومحاربة المنكر وصد المعتدي، فهو الفارس في الوغى وساحات الحرب والفارس في حلقات العلم ومنابر الخطابة ومجالس الإفتاء، كما كان علماً في الزهد والورع والتضحية والإقدام والفداء.

والعز بن عبد السلام من العلماء الذين يقتدى بهم، غير أنه لم يعطَ ما يستحق من الدراسة والبحث.

ومن هنا رأيت لزاماً علي أن أضطلع بهذا الأمر، الذي حثني على تحقيقه أستاذاي الدكتور محمد بركات أبو على والدكتور إسماعيل عمايرة.

واستهدفت هذه الدراسة تتبع الآراء البلاغية للعز بن عبد السلام من خلال كتابه **(الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)**، وتفسيره للقرآن الكريم من خلال كتابيه **(فوائد مشكل القرآن)** و**(الإمام في بيان أدلة الأحكام)**اللذين يشملان بعض الصور البلاغية والبيانية في القرآن الكريم، واختصاره لنكت الماوردي، إذ لم تنل آراء العز ابن عبد السلام البلاغية الشهرة التي نالتها مكانته الفقهية والأصولية والسياسية والتفسيرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم أقع على دراسة في تاريخ البلاغة العربية أنصفت العز بن عبد السلام ووضعت آراءه البلاغية موضعها من حلقات البلاغة العربية أو موضوعاتها، ولم يقف الباحث كذلك على دراسة بلاغية أو نقدية تناولت أهمية العز ومكانته البلاغية. وهو ما يُتلمس بوضوح في كتابه (**الإشارة إلى الإيجاز**) فكان معظم جهدي أن أفسح حيزاً للعز ابن عبد السلام في درس البلاغة العربية.

ويشمل مفهوم البيان عند العز مصطلحات من علوم البلاغة الثلاثة. والإيجاز عنده يعني الإشارة أو الاختصار أو الحذف أو اللمحة الدالة. ويهتم العز في الحديث عن البيان بالمتلقي وأحواله. ويشمل موضوع البيان عنده الحديث عن الحذف وأنواعه وأدلته، ثم مجاز التشبيه وفائدته وأنواعه، والكنايات والاستعارات، وتناوب الحروف، والتجوز في الأفعال. وتأكيداً للفائدة تحدث عن مقاصد القرآن من الوجهة البلاغية، كل هذا في إطار كتابه الإشارة إلى الإيجاز، ومع هذه التنوعات الكثيرة في المصطلحات البلاغية غير أنني لم أجد من يشير إلى تطبيقاته أو إلى آرائه الخاصة في مفهوم البلاغة القرآنية. والعز في كتابه هذا لا يقل فائدة في تطبيق البلاغة العربية عن كتاب الكشاف للزمخشري (٥٣٨هـ). غير أن الزمخشري قد أفردت له دراسة خاصة - أعدّها د. محمد أبو موسى بعنوان: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"- أما العز بن عبد السلام فينتظر من يكشف عن البلاغة عنده في كتبه المحققة تحقيقاً علمياً وبالأخص كتاب (**الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**).

وفائدة هذا الموضوع إلى ما تقدم وجود الأمثلة القرآنية الكثيرة للمصطلح البلاغي الواحد التي لا نجدها في كتب البلاغة.

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من علماء البلاغة العربية الذين جاءوا بعد العز اعتمدوا على آرائه البلاغية دون الإشارة إليه. فقد نقل عنه الخطيب القزويني، وتابعه في ذلك السعد وسلسلة الشراح وابن القيم والزركشي والسيوطي.

وحسب العز في كتابه أن يكون قد أثار موضوعا جديرا بالاهتمام في مجال الدراسات البلاغية، وهو دراسة القرآن الكريم دراسة تطبيقية مفصلة قدم لها تحليلا موجزا يكشف عن سر البلاغة فيه.

وإذا كانت المكتبة العربية قد خلت من دراسة علمية وافية عن البلاغة القرآنية عند العز بن عبد السلام – فيما أعلم - غير أنها لم تخل من دراسات تناولت العز بن عبد السلام مفسرا وفقيها ومصلحا، واشتملت على دراسة مناحي حياته، وتحقيق بعض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آثاره. ولكنها لم تفرد للدرس البلاغي فصولاً؛ لأن هذا الدرس كان خارج أطـــر تلـك البحوث والدراسات ومنها:

دراسة الدكتور علي الفقير بعنوان "الإمام العز بن عبد السلام" وهي رسالة جامعية في الأصل تحدث فيها معدّها عن حياة العز بن عبد السلام وآثاره، وتناول فـــي أحـد فصولها مؤلفات العز حسب فنونها، كما تطرق لكتاب الإشارة إلى الإيجاز بـــالتعريف الموجز.

أما الدكتور عبد الله الوهيبي فقد وضع كتاباً بعنوان "العز بن عبد السلام، حياتـــه وآثاره ومنهجه في التفسير". كما نجد كتاباً بعنوان "العز بن عبد السلام، بائع الملـوك" لمحمد حسن عبد الله وكتابا آخر بعنوان "عز الدين بن عبد السلام" للدكتور رضـــوان الندوي.

وتقوم منهجية البحث على استقصاء آراء الإمام العز البلاغية في ضوء مؤلفاتـــه القرآنية التالية: "الإشارة إلى الإيجاز" و" فوائد مشكل القرآن" و"الإمام في بيـــان أدلـة الأحكام"و اختصاره نكت الماوردي، كما تقوم على تحليل هذه الآراء وتقويمها تقويمـــا بلاغيا، ومحاولة الحكم عليها من خلال موازنتها بآراء البلاغيين القدامـــى مـــن مثـل الزمخشري (٥٣٨هـــ) والسكاكي (٦٢٦هـــ) وابن الأثير (٦٣٧هـــ) وغيرهم.

وجاء هذا البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة:

أما في المقدمة فتطرقت إلى مسوغات هذا البحـــث وأهميتـــه للمكتبـــة العربيـــة، واستعرضت خلاله أهم الدراسات السابقة.

وتحدثت في الفصل الأول عن حياة الإمام العز ومؤلفاته وموقف المحدثين منـــه ، وأفردت الحديث عن كتاب "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنـــواع المجـــاز"، ومنزلتـــه البلاغية في القرن السابع الهجري.

أماالفصل الثاني فدرست مسائل البلاغة القرآنية عنـــد الإمـــام العـــز بـــن عبـد السلام،وبيّنت العلاقة بينه وبين البلاغيين من جهة وبينه وبين الأصوليـــين مـــن جهـــة أخرى.

وعرضت في الخاتمة النتائج التي توصل إليها الباحث، مبرزاً منـــاحي التـــأثير والتأثر في البلاغة القرآنية عند الإمام العز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد:

فأرجو أن أكون قد وفقت جهد المستطاع، فإذا حالفني التوفيق فمن عنايـة الله، وإذا جانبني الصواب فمن نقص علمي وقلة حيلتي، والله أسأل أن يتقبل عملي بحسن القبـول وهو ولي التوفيق والهادي إلى كل صواب.

{رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي}

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإمام العز وكتابه الإشارة
إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز
ومنزلته البلاغية في القرن
السابع الهجري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإمام العز بن عبد السلام:

هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السلمي، المغربي الأصل ، الدمشقي المولد ، المصري المآل والمدفن ، الشافعي المذهب ،الأشعري العقيدة، كنيته أبو محمد ، ولقبه عز الدين ، واختصر بالعز فغلبت على اسمه ، ولقبه تلميذه ابن دقيق العيد (٧٠٢ هـ) سلطان العلماء، ذلك لأنه كان يقارع السلاطين ويحد من طغيانهم ، فكان أعظم العلماء الذين سلكوا هذا المسلك في مجابهة الظلم ، ومقارعة البطل ، فكان سلطانا عليهم.كما عرف ببائع الملوك.

ويعرف الإمام العز بابن عبد السلام، وكثيرا ما يشار إليه بهذه التسمية، وخاصة في كتب الفقه. وقلما يعرف إمامنا باسمه عبد العزيز إلا في كتب التراجم، وما عدا ذلك فيعرف بأبي محمد بن عبد السلام، أو ابن عبد السلام ، أو العز بن عبد السلام أو عز الدين بن عبد السلام [١]

ولد بدمشق سنة سبع وسبعين وخمسمائة على الراجح الموافق ١١٨١م ونشأ بها، وتتلمذ على أئمة عصره ، فتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي وغيره ، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر ، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد البغدادي ، وعمر بن

١- انظر ترجمة العز وسيرته في : طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي (-٧٧١ هـ) ٨٠/٥ فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤ هـ) ، ٥٩٤/١ .البداية والنهاية ، ابن كثير (٧٧٤ هـ) ، ٣٠٢/١٣ .طبقات الشافعية ، عبد الرحيم الاسنوي ، جمال الدين (٧٧٢ هـ) ، ٨٤/٢ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد (١٠٨٩ هـ) ٥٢٢/٧ .حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي (٩١١ هـ)، ٣١٤/١ .مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، اليافعي (٧٦٨هـ)، ١٥٣/٤ – ١٥٨ .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي (٨٧٤هـ) – ٢٠٨/٧ ، الذيل على الروضتين ، أبو شامة المقدسي(٦٦٥هـ)، ص ٢١٦ . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، طاش كبرى زاده (٩٦٨هـ) ، ٣٥٣/٢ .طبقات المفسرين للداودي (٩٤٥هـ) ، ٣٠٨/١.العبر في خبر من غبر ، الذهبي (٧٤٨هـ) ٢٦٠/٥ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة(١٠٦٧هـ) ٣٨٧،٢٤٣/٢ .عصر سلاطين المماليك وتراجم العلمي والأدبي، محمود سليم رزق، ٨٧/٢ .معجم المفسرين من صدر الاسلام الى العصر الحاضر، عادل نويهض ٣٢٥/١ .الاعلام ٢٤ ، الزركلي ٢١/٤ وغيرهم .

وانظر ترجمة العز بشكل مستقل : العز بن عبد السلام لرضوان الندوي ومحمد حسن عبد الله في كتابه : عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك وكتاب العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الله الوهيبي والإمام العز بن عبد السلام وأسبقيته في الفقه الإسلامي لعلي الفقير .والقاضي عبد الرحمن مراد في كتابه عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء ، حياته وعصره ، وآمنة الصاوي مسرحية إسلامية بعنوان سلطان العلماء العز بن عبد السلام في ثلاثة أجزاء وغيرهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن طبرزد ، وحنبل بن عبد اللطيف الرصافي ، والقاضي عبد الصمد بن محمد الحرستاني ، وغيرهم[١].

ويذكر أنه لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وأخذ عنه[٢]، فهذا الجانب من ثقافته يدور حول الفقه والأصول والحديث والتصوف ، ولا يعرف بعد على من تتلمذ في علوم العربية ، ولكنه على كل حال برع فيها ، يقول صاحب شذرات الذهب محدثا عن ألوان ثقافات العز بن عبد السلام : " وبرع في الفقه والأصول والعربية وفاق الأقران والأضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال الناس ومأخذهم وبلغ رتبة الاجتهاد ، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد ." [٣]

ولعله قد انضاف إلى عامل التتلمذ على أئمة العلماء في عصره عامل شخصيته هو ، وهي شخصية تتصف بالتحرر والقوة ، وكانت الأحداث والمحن تمر بتلك الشخصية فما تضعف منها شيئا، بل تزيدها قوة وتبرز معدنها الصافي . وسيظهر في خلال ترجمته الدلائل المؤيدة.

ثقف إذن عز الدين بن عبد السلام علوم الدين وبرع فيها، وبلغ مرتبة الاجتهاد ، وصار مقصد الطلبة من البلاد الإسلامية ، وأهله علمه وشخصيته أن يلي أرفع المناصب الدينية في الشام ، فولي الخطابة والإمامة في الجامع الأموي ، وفي ذلك يقول تلميذه أبو شامة: " وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة، و أزال كثيرا من البدع التي كان الخطباء يفعلونها ، من دق السيف على المنبر وغير ذلك ، وأبطل صلاتي الرغائب [٤] ونصف شعبان ".[٥] ويذكر المترجمون له أنه وهو خطيب بدمشق ترك على الخطابة طابعا من شخصيته ، فكما ترك دق السيف على المنبر ، وترك كذلك كل ما يمكن أن ينعت بالتكلف ، فلم يلبس سوادا ولا سجع خطبته بل كان يقولها مترسلا [٦].

ونعود للعز وهو لما يزل في دمشق – في عصر الملك الأشرف – والأخير تفرد من أسرة صلاح الدين في عدم التمذهب بالمذهب الأشعري . ذلك أنه قد التف بالملك الأشرف

---

[١] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٠

[٢] – السابق ٥/٨٣

[٣] – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٥٢٣

[٤] – انظر مناقشة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ومحمد زهير شاويش ، بيروت المكتب الإسلامي ، وانظر الإمام الغزالي أبو حامد محمد (٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين ، ١/٣١٧

[٥] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٠

[٦] – شذرات الذهب ٧/٥٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦٣٥هـ) جماعة من الحنابلة منذ الصغر، فأوهموه أن الذي هم عليه اعتقاد السلف ، وهو اعتقاد أحمد بن حنبل – رضي الله عنه –، وفضلاء أصحابه، واختلط هذا بلحم السلطان ودمه وصار يعتقد أن مخالف ذلك كافر حلال الدم ، فلما أخذ الملك الأشرف في الميل إلى الشيخ عز الدين لما بلغه عنه من القيام لله والعلم والدين ، وأنه سيد أهل عصره وحجة الله على خلقه ، وشت هذه الطائفة به وقالوا إنه أشعري العقيدة ، وكتبوا إلى العز يناقشونه في مسائل من الكلام كي يفتضح أمره عند السلطان ، فما خاف العز وما جبن ، بل كتب رسالة ألمّ فيها بأصول العقيدة الأشعرية مبينا ما يفهمه من رسالة العلم والعلماء ، ومشيرا إلى واجب السلطان حيال الدين ، وكتب ذلك كله في قوة وجرأة تستغرب إلا من مثله[١].

وعلى مثل تلك السيرة من الإخلاص لدينه وعلمه ، والاعتداد بشخصيته ووقوفه مع ما يعتقد انه الحق حيث كان ، سارت حياة العز بن عبد السلام في الشام إلى أن كانت أيام الصالح إسماعيل المعروف بأبي الخبيش ، وأبو الخبيش هذا استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف ، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وجاهر برأيه فيه، وترك الدعاء له في الخطبة [٢]. ولقي من جراء ذلك العزل من منصبه فالسجن، ثم غادر بعد ذلك موطنه إلى القاهرة في حدود سنة تسع وثلاثين وستمائة ، ومر في طريقه إلى القاهرة بالكرك فتلقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده فقال له : " بلدك صغير على علمي [٣]" . هكذا قال قولة من يعرف قدر نفسه ومبلغ علمه ، ويحكي السبكي أنه حين وصول الإمام العز إلى القاهرة تلقاه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل و أكرمه، وولاه خطابة جامع عمرو ابن العاص بمصر والقضاء بها ، ولما بنى الملك الصالح مدرسة الصالحية المعروفة بين القصرين بالقاهرة فوض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عز الدين ، فباشر وتصدى لنفع الناس بعلومه[٤].

ويروى أنه حين استقر مقام الإمام العز بمصر ، أكرمه حافظ الديار المصرية وزاهدها عبد العظيم المنذري وامتنع عن الفتيا وقال : " كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين

---

[١] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٥ وما بعدها ، تفاصيل هذه الحادثة في كتاب " منحمة الاعتقاد " الذي ألفه الإمام العز للرد على من حاكمه في قضية كلام الله تعالى ، وفيه تتضح عقيدة الشيخ الأشعرية ، والكتاب مطبوع في ترجمته رحمه الله في طبقات الشافعية لابن السبكي.

[٢] – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/٨٠

[٣] –المصدر نفسه ٥/٨١

[٤] – المصدر نفسه، ٥/٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا فيه.[١] ". وهكذا أخذ العز مكان الصدارة العلميـــة فـأصبح قاضي مصر ومفتيها ، وكان مجلسه العلمي يجمع التصوف إلى الحديث والتفسير والفقه .

ولم يقصر عز الدين نشاطه العلمي على بيئة القاهرة وحدها بل انتقل إلى بيئة قوص، فولاه الملك الصالح قضاءها [٢]. ويروى أن مجالسه العلمية كانت تضم الأدب بالإضافة إلـى علوم الدين ، ويظهر أن الأدب كان لونا تتلون به محاضراته .

وتخرج على يديه من أئمة العلم والفقه بقوص شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، والعلامة أحمد أبو العباس الدشناوي والعلامة أبو محمد هبة الله القفطي وغيرهم.[٣]

وقد كان العز بن عبد السلام مسلما حقا ، يدرك أن الإسلام نظام يمتزج فيـــه الديـــن بالدنيا، فليس الدين أقوالا وأعمالا تمارس للآخرة وحدها، وإنما للدنيا أيضا ، فالدين ذو صلـــة وثيقة بالمجتمع، وهكذا رأينا الرجل لا يرى منكرا إلا شهر به ، ولا يرى في يوم رأيا صوابـا دعاه إليه اجتهاده، ثم ارتأى بعد حين رأيا آخر إلا رجع عن رأيه الأول جهارا ، فهو مع الحق ولو على نفسه . يحكي القاضي عز الدين الهكاري ابن الخطيب الأشمونين في مصنف لـــه ، ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إن الشيخ عز الدين أفتى مرة بشيء ثم ظـــهر له أنه خطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل بـــه فإنـــه خطأ"[٤].

وفي مصر اتفق أن فخر الدين عثمان ابن شيخ الشيوخ أستاذ دار الملك الصالح نجـــم الدين أيوب – وكان إليه أمر المملكة – عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبـــل خانات ، وبقيت تضرب هنالك فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين ، حكم بهدم البناء وأســـقط فخر الدين بن الشيخ وعزل نفسه من القضاء[٥].

وكان الرجل إلى جوار هذا الجهاد العلمي والديني يشارك بالعمل ، فلم يبخل بالمشورة والرأي ، ولا قصر علمه على الخطب والكتب ، فنراه مع عسكر المسلمين في واقعة الفرنـــج على دمياط[٦] ، وما من شك في أنه كان يحمس المسلمين ويرغبهم فـــي الجـــهاد مســـتبصرا بالنص القرآني والحديث النبوي والشاهد التاريخي .

---

[١] – المصدر نفسه،ج٥/٨١

[٢] – المصدر نفسه، ج٥/٨١

[٣] – طبقات الشافعية الكبرى ج٥/٨٠ .

[٤] – المصدر نفسه،ج٥/٨٣ .

[٥] – المصدر نفسه،ج٥/٨١

[٦] – المصدر نفسه،ج٥/٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعز بن عبد السلام هو الذي أشار على السلطان الظاهر بيبرس – وكان يتعلل بفقو خزانته من المال – بأن يحارب التتار وينفق على الحرب مما عنده وعند الحريم والأمراء من حلي وأموال وإن احتاج بعد إلى مال فليقترض من التجار فعمل السلطان بمشورته ، وكانت من عوامل نصره[١].

ولئن أردنا تصور المكانة التي شغلها عز الدين بن عبد السلام من قلوب الناس والحكام في عصره ، فهذه شواهد من التاريخ: يصفه السبكي بقوله : " إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ولا رأى مثله علما وورعا وقياما في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان[٢] ".

وهذا الخليفة المستعصم العباسي لا يقبل رسالة واردة من فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ ، أستاذ دار الملك الصالح نجم الدين أيوب ويقول : " إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فنحن لا نقبل روايته[٣] ."

والملك الظاهر بيبرس لم يبايع أيا من الخليفة المستنصر أوالخليفة الحاكم ، إلا بعد أن تقدمه الشيخ عز الدين للمبايعة ثم بعده السلطان ثم القضاة ...[٤] وفيه يقول تلميذه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد : " كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء ."، وأما جمال الدين بن الحاجب فقال فيه : " ابن عبد السلام أفقه من الغزالي[٥] ."

وبلغ من ذيوع صيته العلمي في أرجاء العالم الإسلامي بعامة ومصر خاصة أن كان من أمثال المصريين " ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام "[٦]

وكانت وفاة هذا العلامة سنة ستين وستمائة يوم الأحد عاشر جمادى الأولى، وكان يوما مشهودا حضر جنازته الخاص والعام . ولما مرت جنازة الشيخ عز الدين بن عبد السلام

---

[١] – المصدر نفسه،٥/٨٤ .

[٢] – المصدر نفسه،٥/٨٤ .

[٣] – المصدر نفسه،٥/٨١.

[٤] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٣ وما بعدها .

[٥] – المصدر نفسه، ٥/٨٣.

[٦] – فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ) ، ١ /٥٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحت القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : " اليوم استقر أمري في الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك مني[١] ." ونزل السلطان الظاهر بيبرس وصلى عليه مع الناس بالقرافة ... وصلي عليه في جامع دمشق وغيره من الجوامع بالشام يوم الجمعة الأولى – رحمه الله –، ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة : الصلاة على الفقيه الإمام شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام".

تلك هي شخصية عز الدين بن عبد السلام ، وسعت عصرها علما وورعا وجهادا فقد ثقف علوم الدين وتضلع فيها حتى بلغ مرتبة الاجتهاد ، كما أنه كان متصوفا مجاهدا في الحرب التي خاضها مسلمو القرن السابع ضد الصليبيين ثم التتار من بعد.وله إنتاج في كل ناحية من نواحي ثقافته – كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته – غير أنه مع غلبة الثقافة الدينية عليه خص الدرس البياني بالكتاب موضوع حديثنا فيما بعد المسمى : " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " .

مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام وآثاره العلمية

إن العز من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر من مصنفاتهم ، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم[٢] . وعلى الرغم من ذلك فقد ترك لنا ثروة من المصنفات تدل على باع طويلة وقدرة فائقة على التصنيف، تنم عن علم جم واطلاع واسع .مع أن أغلب ما خلفه رسائل وبحوث علمية صغيرة. وكما قال فيه من حضره وهو يكتب جواب رقعة السلطان الأشرف التي سيرها إليه ، وكان يظن أنه يعجز عن الجواب لما شاهد في ورقة السلطان من شديد الخطاب: لو كانت هذه الرقعة التي وصلت إليك ، وصلت إلى قس بن ساعدة لعجز عن الجواب ، وعدم الصواب ، ولكن هذا تأييد إلهي[٣] .

ولقد فتح الله عليه فيما صنف ، فجاءت مصنفاته على قدر من الإتقان ، ولو أتيحت الظروف ووانته كما واتت غيره من العلماء المشهورين بالتصنيف لأغنى المكتبة الإسلامية بما عجز عنه غيره ،لمرتبته العلمية ، وسيولة قلمه ، غير أن متاعب الدعوة ومقارعة الظلم

---

[١] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٣/٨٤

[٢] – اليافعي ٧٦٨هـ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ٤/١٥٤.

[٣] – طبقات الشافعية الكبرى ٥/٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والظالمين ملأت عليه وقته وحرمته من التفرغ العلمي ، وكذلك متاعب الـدرس والتدريـس التي اشتغل بها أيام حياته العامرة .

وهذه الثروة العلمية التي خلفها لنا الإمام العز ،لم يقيض لها أن ترى النور لتصبـح متداولة بين الناس ، وما يزال معظمها محفوظاً موزعاً في مكتبات العالم ، ولم ينشر منـها إلا القليل ، حتى معظم ما نشر ينقصه التحقيق العلمي السليم ، باستثناء كتاب :"فوائـد فـي مشكل القرآن" الذي حققه الدكتور الندوي ، وكتاب "الإمام في بيان أدلة الأحكام" الذي حققـه رضوان مختار غربيّة .

وبقية مصنفاته ما تزال محتاجة إلى الأيدي الأمينة المخلصة التي تحققها وتنشـرها لتعم فائدتها على طلاب العلم والمعرفة [١] ، ولعل الله – تعالى – يتيح لي فرصة نيـل هـذا الشرف في القريب العاجل إن شاء الله .

ومصنفات الإمام العز تزيد عن الثلاثين ، ونسبت إليه مؤلفات أُخرى، إمّا خطأً مـن النساخ والباحثين، وإما للالتباس في اسمه، وتشابه الأسماء بينه وبين غيره[٢].

وأقتصر هنا على سرد كتبه ورسائله بعد تقسيمها وتصنيفها على العلـوم الشـرعية وسوف أعود لدراسة محتوى بعضها والاستفادة من مضمونها بما يخدم البحث البلاغي عند الإمام العز رحمه الله .

أولا : في التفسير وعلوم القرآن :

١- مختصر تفسير "النكت والعيون للماوردي "حققه الدكتور عبد الله إبراهيم الوهيبي ونشرته دار ابن حزم في بيروت سنة ١٩٩٦.

٢- تفسير القرآن العظيم: وهو لا يزال مخطوطاً، وتوجد منه خمس نسخ خطية في تركيا. [٣]

٣- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، موضوع هذا الفصل وسيجيء حديثـه لاحقاً.

٤- أمالي عز الدين عبد السلام ، طُبع بعنوان "الفوائد في مشكل القرآن" قام بتحقيقه رضوان الندوي ثم طبعته وزارة الأوقاف الكويتيةِ سنة ١٩٦٧، ثم أعيد طبعه فـي دار الشـروق بجدة سنة ١٩٨٢.

---

[١] – الحمد لله الذي وفق أحد الباحثين وهو إياد خالد الطباع لإعادة تحقيق مؤلفات الإمام العز ونشرها.

[٢] – انظر على سبيل المثال : علي النشار : الإمام العز بن عبد السلام سلطان العلماء ص ٣١٥ وما بعدها .

[٣] – الإمام في بيان أدلة الأحكام، مقدمة المحقق، ص٤٢، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥،ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : في الحديث والسيرة والأخبار:

١- شرح حديث (أم زرع): الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -- وهو ما يزال مخطوطاً، وتوجد منه نسخة خطية باسطنبول. [١]

٢- بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم: طبع عدة مرات في مصر وبيروت، آخرها طبعة بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعها في المكتب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٣هـ.

٣- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام: طبع عدة مرات، الأولى في القدس سنة ١٩٤٠م، نشرته المطبعة التجارية بعناية أحمد سامح الخالدي، ثم طبع ببغداد وعمان بتحقيق محمد شكور الحاجي سنة ١٩٨٧م. [٢]

٤- مجلس ذم الحشيشة: وهي رسالة لا تزال مخطوطة. [٣]

ثالثا : في الإيمان والعقيدة وعلم التوحيد :

١. رسالة في علم التوحيد: وهي ورقة واحدة مخطوطة. [٤]

٢. الملحة في الاعتقاد: وهي رسالة مكونة من عشر صفحات مطبوعة ضمن ترجمة العز في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي. [٥]

٣. الفرق بين الإسلام والإيمان: وهي رسالة صغيرة مخطوطة ولها عدة نسخ. [٦]

٤. نبذة مفيدة في الرد على القائل بخلق القرآن: وهي رسالة مخطوطة، وموجودة بدار الكتب المصرية. [٧]

٥. وصية الشيخ عز الدين: وهي رسالة صغيرة مخطوطة موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق. [٨]

---

[١] - العز للوهيبي، ص١٢٩، والإمام، المقدمة، ص٤٤.

[٢] -العز للوهيبي، ص١٨٥، والإمام، المقدمة، ص٥٠.

[٣] - الإمام، المقدمة، ص٢٣.

[٤] - الإمام العز لعلي الفقير، ص٣١٧، والعز للوهيبي،ص١٣١.

[٥] - طبقات الشافعية، ج٥، ص٨٥، والعز للوهيبي،ص١٣٢، والعز للندوي، ص٢٥.

[٦] - العز للوهيبي، ص١٣٢، والإمام العز للفقير،ص ٣٢٧، والعز للندوي،ص٧٥، والإمام،المقدمة، ص٤٥.

[٧] - العز للندوي، ص٧٥، والعز للوهيبي، ص١٣٢.

[٨] - العز للوهيبي، ص١٣١، والإمام،المقدمة،ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. أحوال الناس يوم القيامة وذكر الخاسرين والرابحين منهم: وهي رسالة في العقيدة والزهد وفضائل الأعمال والتربية، حققها مجدي فتحي السيد، ونشرتها دار الصحابة للتراث بالقاهرة،سنة ١٩٩٠. [١]

رابعا : في الفقه والفتاوى :

١. الغاية في اختصار النهاية: وهو كتاب اختصر فيه العز كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب" لإمام الحرمين الجويني (٤٧٨هـ)، وهو لا يزال مخطوطاً. [٢]

٢. أحكام الجهاد وفضله: وهي رسالة ما تزال مخطوطة. [٣]

٣. مقاصد الصلاة: وهي رسالة ما تزال مخطوطة. [٤]

٤. مقاصد الصوم: وهي رسالة ما تزال مخطوطة. [٥]

٥. مناسك الحج: وهي رسالة ما تزال مخطوطة. [٦]

٦. صلاة الرغائب: طبعت هذه الرسالة بالمكتب الإسلامي بدمشق، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وزهير شاويش.

٧. الفتاوى المصرية: قام عبد الرحمن عبد الفتاح بتحقيق "الفتاوي للعز" وطبعتها دار المعرفة ببيروت سنة ١٤٠٦هـ.

خامسا : في أصول الفقه :

١. قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، أو القواعد الكبرى: طبع عدة مرات منها طبعة دار الشرق للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٦٨ وراجعه طه سعد.

٢. القواعد الصغرى ، وهو مختصر الكتاب السابق: وهو ما يزال مخطوطا. [٧]

٣. الإمام في بيان أدلة الأحكام: حققه رضوان مختار بن غربية، وطبعته دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة ١٩٨٧.

سادسا : في الزهد والتصوف والتربية والأخلاق وفضائل الأعمال :

---

[١] - العز للندوي، ص٨٣.

[٢] - الإمام العز للفقير، ص٣٢٨، والعز للوهيبي، ص١٤٩، والإمام، المقدمة، ص٤٧، والعز للندوي، ص٧٧.

[٣] - العز للندوي، ص٧٧، والعز للوهيبي، ص١٤٩، والإمام، المقدمة، ص٤٩.

[٤] - العز للوهيبي، ص١٤٥، والإمام،المقدمة، ص٤٩، وعلي الفقير، ص٣٣١. والعز للندوي، ص٧٦.

[٥] - المصدر نفسه.

[٦] - الإمام، المقدمة، ص٤٩، الإمام لعلي الفقير، ص٣٣١. العز للندوي، ص٧٦. العز للوهيبي،ص ١٤٥.

[٧] - العز للندوي،ص٨٠. والوهيبي، ص١٤٢. والإمام، المقدمة،ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال: حققه إياد الطباع وطبعته دار الطباع بدمشق سنة ١٩٨٩. [١]

٢. رسالة في القطب والأبدال الأربعين: طبعت في حلب دون تحقيق ومنها نسخة مخطوطة في بغداد. [٢]

٣. فوائد البلوى والمحن ، أو الفتن والبلايا والمحن والرزايا: وهي رسالة صغيرة ما تزال مخطوطة، وفيها الفوائد والثواب والأجر الذي يناله المسلم من ابتلائه بالفتن والمحن والمصائب، ذكر العز فيها سبع عشرة فائدة. [٣]

نسبة كتاب "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع للمجاز" للإمام العز:

دفعني إلى الحديث عن الكتاب ونسبته إلى العز أن أحد الباحثين المحدثين شكك في نسبته إليه وفي وجوده أيضا.

يبدو أن العز ألف كتابه " الإشارة إلى الإيجاز ... " للرد على الذين أنكروا وقوع المجاز في القرآن الكريم ، ليثبت إعجاز القرآن من جهة اختصاره الكلام وإفادته المقصود بأخصر عبارة وأعظمها .

ولكن هل يقصد العز من المجاز المعنى الاصطلاحي أم المعنى اللغوي؟ يظهر من كتابه أنه عنى بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة غير مجاز القرآن لأبي عبيدة ، وهو أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز، ثم تكلم عن المجاز بمعناه البياني مؤلف آخر شيعي معتدل الفكر ، هو الشريف الرضي في كتابه " تلخيص البيان في مجازات القرآن " الذي حققه الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وزعم في مقدمة الكتاب أن الشريف الرضي قد تفرد في هذا التأليف ، ولم يشاركه فيه أحد ، شاكاً في أن يكون للعز كتاب يبحث في مجاز القرآن .

يقول في المقدمة : " ويظهر أن الله شاء أن يظل كتاب مجازات القرآن للشريف الرضي وحده ، وأن يتفرد بهذه المزية فلا يشركه كتاب عربي في مجازات القرآن " . فقد ذكر صاحب " كشف الظنون " أن لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام المصري الشافعي الدمشقي المتوفى سنة (٦٦٠هـ) كتاباً اسمه " مجاز القرآن "، وأن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) قد اختصره وسماه " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن "، فأين كتاب

---

[١] – العز للندوي، ص٨٢، وللوهيبي،ص١٥٢، وعلي الفقير،ص ٣٤٤.

[٢] – العز للندوي،ص٨٢، والإمام العز لعلي الفقير،ص٣٤٧،وللوهيبي، ص١٥٤.

[٣] – المصدر نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العز بن عبد السلام ؟! وأين مختصر السيوطي ؟! وهل هو في مجاز القرآن بالمعنى الذي قصده أبو عبيدة ؟! أم بالمعنى البياني الاستعاري الذي انفرد الشريف الرضي بالتصنيف فيه ؟ الحق أن مصادرنا تسكت سكوتاً مطبقاً عن كتاب مجاز القرآن " للعز بن عبد السلام ، ولعله ضاع فيما ضاع من تراث الإسلام "[١] .

أما إنكار كتاب بهذا الاسم للعز أو ضياعه ، فهذا ما لم يُقم عليه دليل، فلو رجع الباحث إلى كتاب " طبقات الشافعية الكبرى " لابن السبكي وكتاب " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي ، وكتاب " البرهان في علوم القرآن " للزركشي ، وكتاب بروكلمان ، وغيرها من كتب التراجم والفهارس وفهارس المكتبات العامة لوجده مطبوعاً في الأستانة سنة (١٣١٣هـ) في (٢٢٣ صفحة من القطع الكبير) باسم " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" وقد صورت هذه الطبعة بالأوفست بمطبعة دار الفكر بدمشق . وهذا كله يؤكد وجود الكتاب ونسبته للعز بن عبد السلام ، ويؤكد ذلك أيضاً – وجود مخطوطة منه بالمتحف البريطاني برقم ٩٦٩١ – Add وهي موجودة عند أخ لي تركي الأصل في ميكروفيلم ، علاوة على وجود نقولات كاملة من كتاب " الإشارة إلى الإيجاز ... " في كتب العز الأخرى ، ككتاب " فوائد مشكل القرآن " وكتاب " الإمام في أدلة الأحكام " ومقدمة " تفسير مختصر الماوردي " .ولم يقنع المحقق بما أورده السيوطي من تلخيص كتاب العز في إتقانه ، وما ذكره صاحب البرهان وهو يتحدث عن المجاز بقوله : " وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى [٢]" .

ويتضح بما لا يقبل الشك أن درسه للمجاز درس بياني . وناشر مجازات الشريف الرضي لا يكتفي بما قال بل يشكك فيقول : " والحق أن السيوطي المؤرخ -رحمه الله -، وهو يترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ١/ ١٨٨ ذكر ثبتاً شاملاً بأسماء كتبه ورسائله ، فلم يذكر فيه اسم كتاب " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن " الذي ذكره صاحب " كشف الظنون " أنه اختصره من كتاب " مجاز القرآن " لعز الدين بن عبد السلام . فكيف يفوت السيوطي نفسه أن يسجل لنفسه كتاباً اختصره لسلطان العلماء قبله ؟ مع ما نعرفه من مبلغ حرص السيوطي على أن لا يفوته في هذا الثبت الجامع كتاب واحد من كتبه ؟ " .

---

[١] – مقدمة كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن ، للشريف الرضي ، ص ٣٠ .
وانظر أيضاً مقدمة فوائد في مشكل القرآن للإمام العز بن عبد السلام ، ص ٢٠-٢١ .

[٢] – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن السيوطي نفسه _ في كتاب آخر من كتبه _ يساعدنا على حل هذا اللغز، ففي كتابه " الإتقان في علوم القرآن " وفي الفصل الذي عقده للحديث عن حقيقة القرآن ومجازه يقول عن المجاز القرآني : " وقد أفرده بالتصنيف " الإمام عز الدين بن عبد السلام ، ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته : " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن " [١]. فكيف نعلل إغفال السيوطي لذكر كتابه هذا عن مجاز القرآن في ثبت مؤلفاته الذي ذكره في ترجمة حياته في كتابه " حسن المحاضرة " ؟! .

لقد كتب السيوطي كتابه " حسن المحاضرة " قبل أن يؤلف " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن " الذي صنفه بأخرة من عمره ، ومن هنا لم يدرجه في ثبت مؤلفاته لأنه كان لا يزال مستكنا في طوايا المجهول المغيب . على أن ابن شاكر الكتبي لم يذكر في الوافي بالوفيات وهو يترجم لعز الدين بن عبد السلام أن له كتابا في " مجاز القرآن " مع أنه ذكر له "القواعد الكبرى " و " القواعد الصغرى " و " مقاصد الرعاية " و " مختصر نهاية المطلب " وغيرها ، فلماذا أغفل ابن شاكر الكتبي كتاب مجاز القرآن لعز الدين بن عبد السلام ؟ مع أن موضوع المجازات القرآنية نادر في التأليف الإسلامي العربي ؟ الحق أن هذا الإغفال قد أوقعنا على عشوة من الأمر ، وحيرة من الرأي ... الخ "[٢]. لن أعلق إلا على الفقرة الأخيرة التي استند فيها إلى عدم ذكر ابن شاكر لكتاب مجاز القرآن للعز ، وأنا أتساءل هل تستقصي كتب التراجم عادة ذكر مؤلفات المترجم لهم أم تذكر الأغلب على فنهم ، وكتب الترجمة تلك تستقصي حينا وتذكر بعض الكتب، وتغفل بعضها أحيانا غير مستندة في ذلك إلى قاعدة محددة، وهذا كتاب ابن شاكر الموسوم " بفوات الوفيات"، أما الوافي بالوفيات الذي ذكره المحقق _ محمد عبد الغني حسن _ فهو للصفدي، وابن شاكر قال نصا حين عرض لذكر كتب العز بن عبد السلام:" له " اختصار نهاية المطلب " و " القواعد الكبرى " و " القواعد الصغرى " و " مقاصد الرعاية " وغير ذلك "[٣]. فابن شاكر ينص صراحة على أنه يذكر بعض مؤلفاته لا كلها وليس عدم ذكره للجميع بناف أن للعز كتبا أخرى أو الحكم بأنها ليست له. على أنه لا يحق لنا أن نشكك في كتاب موجود بأيدينا مطبوع ولخصه بعد حياة مؤلفه بقرنين السيوطي وأورد له موجزا في الإتقان . إذ منذ أكثر من سبعة قرون والكتاب شاخص يجاور غيره من نفائس التراث الإسلامي .

---

[١] - الإتقان ٢/٨٢ .

[٢] - مقدمة تحبير التيسير في مجازات القرآن لمشرف الرضي ص ٣٠-٣١ (تحقيق محمد عبد العزيز حسن) .

[٣] - ابن شاكر الكتبي ،فوات الوفيات ، ص ٥٩٥/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب" الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" ومنزلته البلاغية :

ويذكر في بعض المصادر ب " مجاز القرآن[١] " ، وهذا الكتاب من أقدم الكتب التي للمطبعة العربية عهد بها فقد طبع في الأستانة سنة ١٣١١هـ وله من هذه الناحية قيمته التاريخية ، وطبع عدة مرات. فقد طبع سنة ١٣١٣هـ في دار الطباعة العامرة باستنبول ، ثم أعادت طباعته المكتبة العلمية في المدينة المنورة عام ١٩٦٦م، وصورت الطبعة الأولى دار البشائر الإسلامية ببيروت عام ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م كما صورته بالأوفست مطبعة دار الفكر بدمشق[٢]. وأخيرا طبعته دار الكتب العلمية في طبعة محققة اسما سنة ١٩٩٥.

والكتاب من الناحية العلمية جدٌّ نفيس، فإن التأليف العربي المفرد للدرس المجازي قليل ، ولقد عرف الأقدمون للكتاب قدره ، فنجد السيوطي (٩١١هـ) من بينهم يعرض للكتاب بالتلخيص في مؤلف له سماه " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن [٣] " و أورد منه طرفا في كتاب الإتقان مع زيادات من مصادر أخرى. ومما يؤسف له ضياع موجز السيوطي المسمى مجاز القرآن ، وقد رجعت إلى ما حرره السيوطي في الإتقان فوجدته يذكر أبوابا مما في كتاب العز[٤].

كما اختصره الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) وسماه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " دون الإشارة إلى أنه اختصر من كتاب العز رحمه الله.

ولا أعرف من أين جاء أحد الباحثين بهذا الرأي: " وقد اختصر الإمام العز كتابه هذا [٥] – الإشارة إلى الإيجاز ... على الرغم من أن مترجمي العز قديما وحديثا لم يذكروا شيئا من هذا.

وكتاب العز هذا ، مع كتابه " قواعد الأحكام " أو " القواعد الكبرى " من أهم كتبه على الإطلاق ، وتوالى العلماء على مدحه حتى قال عنه ابن السبكي في طبقاته : "إنه وكتاب "القواعد الكبرى " شاهدان بإمامة العز وعظيم منزلته في علوم الشريعة ."[٦]

---

[١] – ذكره السبكي وطاشكبري زاده في مفتاح السعادة وحاجي خليفة .

[٢] – عبد الله الوهيبي ، العز بن عبد السلام ، حياته وآثاره ومنهجه في التفسير ، ص ١٢٢.

[٣] – يقول السيوطي في النوع الثاني والخمسين من كتابه الاتقان في حقيقة القرآن ومجازه : " وقد افرده بالتصنيف الامام عز الدين بن عبد السلام وخصصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته مجاز الفرسان الى مجاز القرآن ، الاتقان للسيوطي ٨٢/٢ .

[٤] – يظهر ذلك عند الحديث في الفصل القادم عن اثر العز فيمن بعده .

[٥] – على الفقير ٣٢٣ .

٦–طبقات الشافعية ج٥،ص٨٥

All Rights Reserved- Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يبين العز سبب تأليف الكتاب ، ولا منهجه فيه ، واكتفى بمقدمة قصيرة خلت مما عهدناه في المؤلفين في مقدمات كتبهم من بيان الأسباب التي من أجلها ألف الكتاب ، والظروف التي كتب فيها ، والمصادر التي اغترف منها ، فالعز لم يذكر شيئا من ذلك كعادته في مؤلفاته، ولعل سبب ذلك أن العز لم يكن مشغولا بأمر التأليف ، إنما كان يملي ذلك في دروسه .

ولعل هدف العز من كتابه " الإشارة إلى الإيجاز ..." خدمة كتاب الله تعالى وتوضيح مجازاته ، وبيان ما فيه من إيجاز ومجاز.

ويتصل موضوع الكتاب بعلم البيان والمعاني في علوم العربية ، ويظهر إعجاز القرآن في الفصاحة والبلاغة والبيان ، ويعد مجاز القرآن أحد علوم القرآن باتفاق العلماء ، وإن حصل بعض الاختلاف في وقوع المجاز في القرآن الكريم. وفي هذا المجال وضع طاش كبرى زاده عنوانا في علوم القرآن سماه : علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن ومجازها " لخص فيه آراء العلماء قائلا : لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن ، وكذا المجاز عند الجمهور، و أنكر وقوع المجاز جماعة : منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية، وبعض من المالكية ... وشبههم أن المجاز أخو الكذب، وأن العدول إليه من ضيق الحقيقة ، والأول : القرآن منزه عنه ، والثاني : محال على الله تعالى ، وهذه شبهة باطلة نشأت من عدم التفرقة بين المجاز والكذب ، ومن عدم الوقوف على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ومن إمكان ايراد المجاز مع تيسر الحقيقة ، وصنفه عز الدين بن عبد السلام ولخصه جلال الدين السيوطي [1].

كما قرر السيوطي في إتقانه أن العز أفرد مجازات القرآن بالتصنيف _ كما سبق _ ويرى المتأمل حقاً لكتاب العز بن عبد السلام أن مبحث المجاز هو الغالب عليه ، فقد خصص له في كتابه سبعة وأربعين فصلاً، في حين استأثر الإيجاز بتسعة عشر نوعاً من أنواع الحذف وبالباب الثامن والأربعين، الذي أورد فيه العز بن عبد السلام أمثلة من حذف المضافات على ترتيب السور والآيات.ويلاحظ على العز أنه ركز في كتابه علىالقرآن الكريم ، وتناول في أثناء ذلك بعض الأحاديث، فهو من الكتب التي أفردت مجاز القرآن بالدرس والبحث والتطبيق ،كما أن ثقافته الفقهية والأصولية قد أثرت في بحثه البلاغي تأثيرا كبيرا ،إذ يعد العز من الأصوليين القلائل الذين طبقوا الدرس البلاغي على القرآن الكريم لبيان إعجازه.

---

[1] – مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبرى زاده ، ٢/ ٤٥٠. وهذا الكلام قريب جدا من كلام السيوطي في الاتقان ٨٢/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السمات الفنية لكتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ومقاييسه البلاغية:

نظفر من كتاب الإمام العز بن عبد السلام. "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" بمقاييس وسمات فنية هي:

١- سمة الإيجاز:

طالعنا بها في مستهل كتابه ، و أشار إلى أنها سمة الكتاب والسنة، وتجمع بين ميزتين: الاقتصار والإفهام ، قال : "الحمد لله الذي بعث بنبينا - صلى الله وعليه وسلم -، بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصارا ليكون أسرع إلى فهم الفاهمين وضبط الضابطين، وتناول المتناولين فكل كلمة يسيرة جمعت معاني كثيرة فهي جوامع الكلم . والاختصار هو الاقتصار على ما يدل على الغرض مع حذف أو إضمار ، والعرب لا يحذفون مالا دلالة عليه، ولا وصلة إليه لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام، وفائدة الحذف تقليل الكلام وتقريب معانيه إلى الإفهام [١] . "

٢- سمة الخفة أو السهولة :

وهو يراعى هذه السمة ، حتى في تقدير ما هو محذوف، ونحن نعلم أن تقدير المحذوف أي محذوف يراعى فيه المعنى فحسب ، ولا يشترط أن تراعى فيه ناحية الحسن أو الجمال ، يقول : "ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات[٢]. "

ولكن من الطريف أن العز يتشدد في تقدير المحذوف مراعيا فيه شروطا فنية بعينها، وذلك من فرط رعايته للقيمة الجمالية وللتعبير القرآني . يقول مثلا في قوله تعالى : ﴿**فما أوجفتم عليه**﴾ (سورة الحشر آية ، ٦)" تقديره : فما أوجفتم على أخذه ، أو على حيازته أو على اغتنامه أو على تحصيله ، فيقدر من هذه المحذوفات أخفها وأحسنها وأفصحها وأشدها موافقة للغرض في هذه الآية ، فتقدير أخذه هنا أحسن من تقدير اغتنامه ، لأنه أخصر ، ومن تقدير حيازته لثقل التأنيث الذي في حيازته[٣] ."

---

[١] - الإشارة الى الإيجاز : ١١ .

[٢] - المصدر نفسه، ٣/٣١ .

[٣] - المصدر نفسه، ١٤-١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن عز الدين بن عبد السلام ليس همّه همّ النحويين، وإنما هو يرعى الجانب الجمالي، فهو باحث في البيان وموضوعه القرآن، فيفضل تقديرا على تقدير لخفته وإيجازه، ويكرر ما سبق أن ذكره في المثال السابق مع التمثيل بشواهد : "وكذلك جميع حذوف القرآن من المفاعيل والموصوفات وغيرهما لا يقدر – إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض ، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به، لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به مثال ذلك قوله تعالى : ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**﴾ (سورة المائدة اية ٩٧) قدّر أبو علي : جعل الله نصب الكعبة ، وقدّر بعضهم جعل الله حرمة الكعبة ، وهو أولى من تقدير أبي علي لأن تقدير الحرمة في الهدي والقلائد والشهر الحرام أولى، ولا شك في فصاحته، وتقديره النصب فيها بعيد من الفصاحة. وكذلك التقدير في قوله صلى الله عليه وسلم : (**فإن سفك دمائكم**) أحسن من تقدير (**فإن صب دمائكم**) أو فإن إراقة دمائكم ، لأن في الإراقة ثقل التأنيث وفي الصب ثقل التشديد ولا يقدر (**فإن سفح دمائكم**) تيمنا بذكر السفك لكونه في القرآن في قوله تعالى (ويسفك الدماء) وكذلك تقدير (**وغصب أموالكم**) لأن الأخذ منقسم إلى الحلال والحرام، فتعين هذا التقدير بالشرع وكذلك تقدير (**وثلب أموالكم**) أولى من تقدير (**وأذية أعراضكم**) لبعده من تقدير وانتهاك حرمة أعراضكم لما فيه من الطول، ولأن اختصار المحذوفات أحسن من إطالتها فلا يقدر ما فيه طول إلا عند الاضطرار إلى الإطالة كقوله تعالى: ﴿**إن الله مبتليكم بنهر**﴾ ، (سورة البقرة اية ٢٤٩) تقديره أن الله مبتليكم بشرب ماء نهر. وكقوله تعالى: ﴿**فقبضت قبضة من أثر الرسول**﴾ (سورة طه اية ٩٦) . تقديره : فقبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول[1]."

٣- سمة الروحية :

وهذه السمة تطالعنا منذ مفتتح الكتاب حتى نهايته ، فكتاب العز "الإشارة إلى الإيجاز" في بعض أنواع المجاز ، وإن لم ينص فيه صراحة على أنه في الإيجاز والمجاز القرآني، إلا أن معظم شواهده من القرآن والحديث ، والقليل النادر من الشعر.

ويبدو الإمام العز في كتابه هذا مستحضراً لنصوص القرآن ، فيفضل فيما حذف _ تقدير ما ظهر في آي أخر ، مثلاً في حذف المبتدأ يقول ... " ... وله أمثلة منها ... قوله: ﴿**ولا تقولوا ثلاثة**﴾ (سورة النساء اية ١٧١) قدّر الفراء : ولا تقولوا هم ثلاثة . وقدر بعض النحاة ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة .

---

[1] – المصدر نفسه، ص ١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدّر أبو علي ولا تقولوا : هو ثالث ثلاثة ، فحذف المبتدأ والمضاف من الخبر ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿لقد كفر الدين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة﴾ (سورة المائدة ،آية ٧٣) وتقدير ما ظهر في القرآن أولى من كل تقدير " [١]. فهو يرجح الرأي النحوي الذي يسنده عنده الآي القرآني . ثم نراه يرجع في تقديره للمحذوفات إلى اعتبارين :

إحساسه بالجمال _ كما مر في السمات السابقة _ ثم إلى تأثره بالعبارة القرآنية ، فإذا ترجح المقدران بين تعبير قرآني وآخر ليس كذلك ، فالمحذوف المقدر هو التعبير القرآني . " تقدير ما ظهر في القرآن أولى من كل تقدير وله أمثلة :

أحدهما قوله : ﴿حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله﴾ (سورة البينة اية ١-٢) تقديره رسول من عند الله ، لأنه قد ظهر في قوله ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله ﴾ (سورة لبقرة اية ١٠١) .

الثاني قوله : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ (سورّة النساء اية ٧٩) تقديره فمن عند الله . ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (سورة النساء اية ٧٩) تقديره فمن عند نفسك لأنه قد ظهر في قوله تعالى : ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ﴾[٢](سورة النساء اية ٧٨) ولقد يزداد تأثر العز بالروح الدينية والخلقية ، فتبهت الناحية الفنية عنده ، كما ترى في حديثه عن الحسن والقبح ، يقول : " والكلام بالنسبة إلى الحسن والقبح أقسام :

أحدهما : ما حسن لفظه ومعناه ، كالثناء على الرب بألفاظ القرآن، وهو منقسم إلى الحسن والأحسن .

القسم الثاني: ما قبح لفظه ومعناه، كالهجو المحرم والكذب المحرم بالألفاظ الركيكة القباح ، وهو منقسم إلى القبيح والأقبح .

القسم الثالث : ما حسن لفظه وقبح معناه ، كالكذب والهجو القبيح باللفظ الفصيح وهو منقسم إلى الفصيح والأفصح .

القسم الرابع : ما قبح لفظه وحسن معناه ، كالإخبار عن المعاني الحسان بالألفاظ القباح، وكل ذلك منقسم إلى القبيح والأقبح والحسن والأحسن [٣].

---

[١] – الإشارة إلى الإيجاز ، ٣٢ .

[٢] – المصدر نفسه،٢١-٢٢ .

[٣] – الإشارة إلى الإيجاز : ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- سمة الصدق الفني :

ونعني بها أن تكون مادة الأديب أو الناقد انعكاساً لما في البيئة ، فهنا نرى الباحث البياني يتناول أمثلة من كلام الناس في أمور الشريعة ، من العبارات التي يحتاج إليها الفقهاء للفصل في قضايا الشرع وأمور الدين ، ويحللها على أساس بياني أدبي ، فالعبارات الحية لها وزنها البياني عند العز بن عبد السلام، ومن شواهد ذلك حديثه عن درجات التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز وأنها بين علاقة قوية أو ضعيفة أو مختلف فيها . [١]

٥- سمة المناسبة :

ونلحظ هذه السمة فيما يقدر من محذوفات ، فيقدر في قوله : ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾ (سورة الحج اية ٢٢) ، وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق ، ولا يقدر : ويقال لهم ، لأن وقيل يناسب أعيدوا ، وكذلك يقدر في قوله: ﴿**فأما الذين اسوَدّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم**﴾ (سورة آل عمران اية ١٠٦) فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ، ولا يقدر فقيل لهم ، لتقدم تبيض وتسود[٢] .

ويعني العز بهذا المقياس حين يترجح المضاف المحذوف بين الحقيقة والمجاز " ومهما تردد المضاف بين المجاز والحقيقة نظرت إلى أحسنها وقدرته محذوفاً فإن استويا نظرت إلى أيهما أشد ملاءمة للسياق وموافقة له فقدرته [٣]. "

وتحدث العز بن عبد السلام عن مقياس التناسب الجمالي في موضعين من خاتمة كتابه فمرة تحدث عنه حين قال : "إن صفات الله المذكورة في القرآن تناسب ما قرنت به من أحكام وكما حث على طاعته بما رتب عليها من الخير العاجل والآجل فكذلك حث عليها بما ذكره في كتابه من صفاته فإنه ذكرها لعباده ليعرفوها ويعاملوه بما يناسبها من الأحوال والأقوال والأعمال، وقلّ أن توجد صفة من هذه الصفات إلا وهي مناسبة لما قرنت به من الأحكام حاثة أو زاجرة ، ولكن تلك المناسبة تارة تكون ظاهرة جلية وتارة تكون باطنة خفية"[٤] .

ثم يتحدث في موضع ثانٍ عن مقياس التناسب في القرآن والصدق فيه " واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض ، لئلا يكون

---

[١] - المصدر نفسه، ٣٨-٣٩ .

[٢] - المصدر نفسه، ٢٨ .

[٣] - المصدر نفسه، ٣١٣ .

[٤] - المصدر نفسه، ٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقطعاً متبرا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد ، فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر . ومَن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب " [١]. فالعز يريد المناسبة طبيعية صادقة غير متكلفة أو مصطنعة ، وجاء هذا الحديث ضمن قوله عن أحكام التفسير وضروبه .

٦- سمة الوضوح :

يستخدمه العز في النظر إلى المجاز القرآني ومجاز الحديث " فإذا قوي التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز فهو المجاز الظاهر الواضح ، وإذا ضعف التعلق بينهما إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره في المجاز فهو مجاز التعقيد ، فلا يحمل عليه شيء من الكتاب والسنة ولا ينطق به فصيح [٢]. "

ويرجح العز في تقدير المضاف المحذوف ما كان مبيناً ، واضحاً " وقد يتردد المضاف المحذوف بين أن يكون مجملاً أو مبيناً ، وتقدير المبين أحسن ، مثاله قوله تعالى : ﴿**وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث**﴾ (سورة الأنبياء اية ٧٨) والمراد بالحرث الزرع أو الكرم . لك أن تقدر "إذ يحكمان في أمر الحرث"، ولك أن تقدر "إذ يحكمان في تضمين الحرث"، وهذا أولى لتعينه ... " [٣].

٧- سمة الضخامة :

ونستبينها فيما ساقه الإمام العز بن عبد السلام من شواهد قرآنية وأحاديث نبوية وفيرة إلى ما تمثل به من الشعر ، وهي خصيصة ثابتة ننتقل معها من قسم إلى آخر في كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، فالعز يجمع ويستقصي الأمثلة.

---

[١] - المصدر نفسه، ٣٣٨ .

[٢] - المصدر نفسه، ٣٨ .

[٣] - المصدر نفسه، ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- المقياس اللغوي :

وعده العز حين عدّ المجاز الذي لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره مجاز التعقيد ، فمنحى العرب في تعبيرها مقياس لقوة المجاز أو ضعفه . وحين يكشف العز بن عبد السلام عن أن العرب في باب الحذف والذكر إنما مقصدها الإفادة مشيرا إلى كيفية استخدام هذا المقياس يقول : " والعرب ينظرون إلى مقصود الإفادة في هذا الباب ونحوه ، فإن كان المقصود نسبة الفعل إلى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا : فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع والله يحيي ويميت، لأنه ليس الغرض ذكر المعطى والممنوع والموصول والمقطوع والمحيا والممات ، ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال ، وإن كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل ، كقوله : ﴿**قُتِل الخراصون**﴾ (سورة الذاريات اية ١٠) وقوله : ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾ (سورة عبس اية ١٧) وقوله : ﴿**كُبتوا كما كُبتَ الذين من قبلهم**﴾(سورة المجادلة،آية٥)وقوله: ﴿**ولُعنوا بما قالوا**﴾(سورة المائدة،آية ٦٤)وقوله: ﴿**أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا**﴾ (سورة الأنعام اية ٧٠) ، ليس الغرض هنا ذكر الكابت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض في نسبة القتل واللعن والكبت والإبسال إلى المذكورين ، وإن تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله : ﴿**وخلق كل شيء**﴾ (سورة الأنعام سورة ١٠١) وقوله: ﴿**وخلق الله السموات والأرض**﴾ (سورة الجاثية اية ٢٢) وقوله: ﴿**بل لعنهم الله بكفرهم**﴾ (سورة البقرة اية ٨٨) وقوله : ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم**﴾(١) (سورة المائدة اية ١٣) .

٩- سمة الأدبية :

نستجليها في منزعه الفني في كتابه ، وليكن مثالي باب مجاز التشبيه ، فلم تراع في ترتيب فصوله المنطقية ، وإنما روعيت الفنية فاستخلصت التشبيهات القرآنية وأفردت التشبيهات المتفقة على حدة لتتخذ لها أنواعاً حتى إننا نجد آية وحدها تكون نوعاً من أنواع التشبيه ، فالآيات : ﴿**وباءوا بغضب**﴾ (سورة البقرة اية ٦١) ﴿**ولما سكت عن موسى الغضب**﴾ (سورة الأعراف اية ١٥٤) ﴿**قد مكر الذين من قبلهمْ ، فأتى الله بنيانهم من القواعد**﴾ (سورة النحل اية ٢٦) ﴿**و إذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم**﴾ (سورةالنحل اية ٥٨) و

---

١ - الإشارة إلى الإيجاز ، ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿وأذنت لربها﴾ (سورة الانشقاق آية ٢) ...[١] كل آية قائمة بذاتها نوع بمفرده من أنـــواع مجـاز التشبيه .

ومن دلائل هذه السمة في مبحث الإمام العز بن عبد السلام ، استشهاداته الوفيرة بآي القـرآن ونصوص الأحاديث ، وبالشعر ، ومثاله النوع السادس والثلاثون من مجاز التشـــبيه ، وهـــو التجوز بلسان المقال عن دلالة الحال لاشتراكيما في الدلالة . [٢]

ثم المنزع الأدبي في هذا الباب واضح أيضا ، فالباب نفسه ، وبطبيعة موضوعه بـلب فني وهو التشبيه وإن خصص بغير الأداة .

ومع أن العز أشعري المذهب غير أنّ الصفة الأدبية تغلب عليه ، فلينظر إلى ما قاله في النوع الثامن عشر من مجاز التشبيه في صفات الإله وهو كشفه عن ساقه ... [٣]

فالعز يفسر الكشف عن الساق تفسيرا أدبيا بما يسوقه من النصوص، ولن تلمح فـــي قوله أي بادرة للأشعرية إنما تلمح بين الحين والحين انعكاسات لثقافته ، فهو يتمثل بنصـــوص من الفقه ، وهو تارة تلمح فيه الرجل الأشعري المذهب ، لكن يبقى المبحث البياني كله غـــير متأثر في غايته ومنزعه بأي من مذهبيته أو فقهه.

تلك هي السمات التي ارتأيتها في الدرس البياني عند الإمام العز بن عبد السلام – رحمـــه الله–.

المُحْدَثون والإمام العز بن عبد السلام:

تصدى لدراسة الإمام العز من نقاد العصر الحديث نفر نذكر منهم : المرحوم الدكتور أحمد أحمد بدوي، والدكتور أحمد مطلوب .

عاب الأستاذ أحمد بدوي على العز تقسيمه للمجاز في كتابه " الإشارة إلى الإيجـــاز " ووصفه بأنه بلغ حد التفاهة ، وخالف الذوق اللغوي ، وضرب لذلك أمثلة من الكتـــاب دون أن يشير إلى المصدر ولا إلى العز نفسه ، إذ قال في كتابه " من بلاغة القرآن ": فقـــد وجـدت كثيراً ممن تعرضوا لدراسته _ المجاز اللغوي في القرآن الكريم_ قد مضوا يلتمسون أمثلته ،

---

[١] – المصدر نفسه،١٤٧ .

[٢] – الاشارة إلى الإيجاز ، ١٣٤ – ١٣٥ .

[٣] – الإشارة إلى الإيجاز ، ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبوبونه ، ويذكرون أقساماً كثيرة له حتى بلغوا من ذلك حد التفاهة ، ومخالفة الذوق اللغوي ، فوجدوا مثلاً في قوله تعالى : ﴿ **إنّا منكم وجلون** ﴾ (سورة الحجر اية ٥٢) مجازاً لغوياً من وصف الكل بصفة البعض ، إذ الوجل محل القلب ، وقياساً على ذلك جعلوا مثل : محمد عالم وجاهل ، وراغب وخائف ، وما على شاكلتها مجازا لغويا[1].

ووجدوا كذلك في قوله سبحانه : ﴿ **كتاب فُصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا** ﴾ (سورة فصلت اية ٣ - ٤) مجازا ، لأن البشارة والإنذار بعض ما في القرآن، ولا أريد أن أمضي في بيان ما تكلفوه ، وجروا وراءه لتلمس الأسباب لعدّ الآيات من باب المجاز اللغوي ، وكل ما أريد قوله ههنا : إن أكثر هذه الكلمات أصبحت توحي بالفكرة من غير أن يثار في النفس المعنى المجازي .

وخذ قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذٍ خاشعة** ﴾ (سورة الغاشية اية ٢) قالوا : إنه من إطلاق الجزء و إرادة الكل ، فقد عبّر بالوجوه عن جميع الأجساد ، لأن النصب والتنعم حاصل لكلها ، وهما يظهران أتمّ ظهور على الوجه ... ولا أرى في ذلك كبير عناء.

وإنما مبنى المجاز عند العز نظرة للكلمة من حيث استعمالها في المحسوسات، فإذا خرجت عن أصل وضعها اللغوي ، أو خرجت عن استعمالها في المحسوسات إلى المعنويات فإنها تكون عنده مجازا ، ومن أجل هذا كثر المجاز عنده، وإن كان بعضه صار واضحا يجري مجرى الحقيقة بشهرتها في الدلالة البلاغية .

أما استكثار العز من الأمثلة والشواهد والتقسيمات والتبويبات التي عابها أيضا الدكتور بدوي على العز، فتلك طريقة أهل الذوق في الفنون والأدب، ذلك أنه يضع أيدينا على النماذج والأمثلة فيتحسسها المتذوق ، ويعاين أسرار الفن، ويعرف مواطن الحسن ، ومواقع الجمال .

على أنه يعود فينصف الإمام العز فيقول : " ولكنك لا تعدم في بعض الأحيان روعة في بعض ما عدّوه من ألوان هذا المجاز في قوله تعالى : ﴿ **يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت** ﴾ (سورة البقرة اية ١٩) وقوله تعالى: ﴿ **ذلك بما قدمت يداك** ﴾ (سورة

---

[1] - احمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص (٢٢٤ – ٢٢٥) .

وانظر الإشارة إلى الإيجاز ص ٨٨،٨٩،٩٠،٩١ لتحد الأمثلة نفسها والتعليق نفسه وانظر الإمام في أدلة الأحكام للعز ، ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحج آية ١٠) وقد لا تكون اليد هي الفاعلة، ولكن لما كان أكثر الأعمال بها جُمِلَ هـذا التعبير وراق[١] .

وإذا كان العز قد توسع في المجاز فهذا ليس سبباً وجيهاً لنعت أبحاثه بالتفاهة ومخالفة الذوق اللغوي ولا سيما أن نقده انحصر في جزئية صغيرة من جزئيات المجاز المرسل التي ذكرها العز ، ولم يتعرض لبقية مباحث الكتاب التي قد تصل إلى حد الروعة والجمال .

أما الدكتور أحمد مطلوب ، فقد ذكر العز في كتابه " مناهج بلاغية " وعرض لأبواب الكتاب عرضا سريعا ، ثم قال في خاتمة حديثه عن العز : " إن عز الدين بن عبد السلام كان بعيدا عن البلاغة بأسلوبها الذي ورثه عن الأوائل، وإنه اتجه إلى تبيان ما في القرآن من إيجاز ومجاز ، غير ملتفت إلى التعريفات والتقسيمات ، وكان جُلّ همّه أن يخدم كتاب الله ويوضح مجازاته .ومن هنا اختلف كتابه عن كتب البلاغة ، وكان أقرب إلى الدراسات القرآنية التي اتخذت من البلاغة سلما ترقى به إلى كشف الإعجاز [٢] ".

وهذا الرأي كلمة عامة قيلت في معرض حديث الدكتور مطلوب عن البلاغة عند الأصوليين، دون أن ينظر إلى العز في ضوء العصر الذي ألّف فيه الكتاب ، ولا على أنه أصولي له نظرته الخاصة إلى المجاز وأنواعه .

ويحق لي أن أسأل الدكتور : هل على البلاغي أن يأخذ بكل ما قاله الأوائل دون نظر أو تجديد ؟ وأعتقد أن الإجابة بالنفي، وإلا فلماذا نقول إن عبد القاهر هو المبتكر الأول للمجاز العقلي ، وهو ما لم يقله الأوائل؟ ، وهل هذا كافٍ لإبعاد العز عن البلاغة.

ثم علل الباحث سبب بُعد العز عن البلاغة بقوله : " لأنه اتجه إلى تبيان ما في القرآن من إيجاز ومجاز غير ملتفت إلى التعريفات والتقسيمات[٣] "

أقول : إن البلاغة العربية التي ازدهرت على يد عبد القاهر الجرجاني ما أخّرها إلا نفر من علمائها الذين اهتموا بالتقسيمات المنطقية والتعريفات الفلسفية ورسموا الحدود ، ووضعوا التعاريفات ، ومن ثم جاءت كتبهم أبعد ما تكون عن هذا الفن .

---

[١] - أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن، ٢٢٠ .

[٢] - د . أحمد مطلوب ، مناهج بلاغية ، ص ٧٣.

[٣] - أحمد مطلوب ، مناهج بلاغية ، ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن معظم ما ذكره العز في كتابه قد مهّد له الأوائل ، بإشارات وتأصيل عميق، فمـــاذا يضر العز أن يكون غير مهتم بالتقسيمات والتعريفات؟

ومن مآخذ الدكتور على العز " أنه لم يقسم المجاز إلى أنواعه المعروفة، و أشار إلـــى تجوز العرب في الأسماء والأفعال والحروف ، وأدخل في هذا البحث خروج الحروف عـــن معانيها الأصلية، والتجوز بالماضي عن المستقبل، والتعبير بالمستقبل عن المـــاضي، وذكـــر خروج الخبر و الأمر والنهي عن معانيها الحقيقية ."[١]

ومن الجلي أن الدكتور مطلوب يريد أن يسلخ العز عن منهج الأصوليين، بدليل أنـــه يصرّ على ربطه بالبلاغيين . على الرغم من أن للأصوليين طريقتهم ومنهجهم الخاص فـــي تقسيم المجاز.

أما الصيغ التي ذكرها الناقد وخروجها عن معانيها الحقيقية ، فقد أشار إليها كثير مـــن البلاغيين ، وإن كان للعز قصب السبق في القول بخروج هذه الصيغ عن معانيـــها الحقيقيـــة وأنها من المجاز ، وهذا ابتكار وابتداع يحسب للعز لا عليه.

وذكر الناقد كذلك أن " العز تحدث عن أنواع كثيرة من المجـــاز لـــم يتعـــرض لـــها البلاغيون كالتجوز بلفظ البشرى عن المبشر ، والتعبير بلفظ البعـــض عـــن الكـــل ومجـــاز التضمين "[٢].

وهذا قول مردود، إذ إن التعبير بلفظ البشرى عن المبشر به أحد المباحث التي اهتـــم بها علماء الأصول ، أما التعبير بلفظ البعض عن الكل ، فقد ذكره البلاغيـــون والأصوليـــون على السواء ، وهذا مما لا يخفى على الأستاذ الناقد.

أما مجاز التضمين [٣]، فإنه يعد أحد إضافات العز وابتكاراتـــه،وإن كـــان التضميـــن معروفا لدى النحويين ، فهو أول من جعله من الصيغ التي خرجت عن الحقيقة إلى المجاز .

وحبذا لو تمت دراسة مباحث العز ضمن مباحث الأصوليين بوصفه فقيهاً أصوليـــا، وربطه بالعصر الذي عاش فيه.

---

[١] – المصدر نفسه،ص٧٢.

[٢] – احمد مطلوب،مناهج بلاغية ، ٧٢ .

[٣] – سوف أتحدث عنه بإسهاب في الفصل الثاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتجاهات العز وآراؤه في علوم اللغة والبلاغة:

إن المتفحص لكتب الإمام العز يجده عالما أدبيا ملك ناصية البيان ، وتربع على عرشه ، وله نظرات بيانية وبلاغية من خلال تفسيره للقرآن الكريم تدل على مبلغ مرتبته في اللغة، ويدل على ذلك أيضا جمال عبارته ورشاقتها، وخاصة فيما يتعلق بكتابة الفقه وتقعيد القواعد التي يغلب عليها الإلغاز والإبهام .إلا أنه جانب التعقيد ، وصاغها بعبارة رشيقة وقلم سيّال . وكان كثير الاستشهاد بالشعر حتى قال عنه مترجموه : " كان حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار " ، ويدل على اهتمامه بالشعر رسالته إلى الملك الأشرف التي احتوت على ثلاثة عشر بيتا من الشعر على الرغم من قصر الرسالة .

ونلمس مقدرة العز البيانية والبلاغية في كتبه : " فوائد في مشكل القرآن " الذي يشتمل على إيراد بعض القضايا اللغوية والبلاغية من القرآن الكريم ، ويحاول الإمام العز الاجابة عنها بما تيسر له من العلم ، وقد تناول هذه الآيات مرتبة من سورة الفاتحة إلى الناس.

وكتاب " الإمام في بيان أدلة الاحكام " جاء بموضوعات مختلفة تتعلق بالعقيدة والأحكام والتفسير والمجاز ، إذ تحدث الإمام العز في الفصل التاسع من هذا المؤلف عن ضروب في المجاز ، حتى إن بعض فصوله منقول حرفيا من كتابه " الإشارة إلى الإيجاز"، وخصوصاً عندما يتحدث عن المحذوفات وأنواعها وعن المجاز وضروبه؛ مما دفع محقق كتاب " الإمام في بيان أدلة الأحكام " إلى الجزم بأن هذا الكتاب خلاصة موجزة في مادته العلمية لكتاب الإشارة [١].

والكتاب الثالث هو كتاب " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " الذي أفرده الإمام للدرس البياني القرآني التطبيقي ، بالإضافة إلى مختصره لتفسير الماوردي .
وهذه الكتب تشهد للإمام بضلوعه في علم البيان واللغة .

ذكر العز بن عبد السلام في كتابه " فوائد في مشكل القرآن "الاستعاذة بقوله": وذات الشيطان لا يستعاذ منها ، فلا بد من محذوف ، وأولى ما قدر به المحذوف ما ظهر في كتاب الله عز وجل وقد ظهر ﴿أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ (سورة المؤمنون آية ٩٧) . وظهر :

---

[١] - انظر الإمام في بيان أدلة الاحكام للإمام العز بن عبد السلام ، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿من شر الوسواس الخناس﴾ (سورة الناس اية ٤) وأولى الظاهرين : الوسواس ؛ لأن الشيطان يوسوس للقارئ ليلهيه عن ذكر ربه .

والرجيم ، هو فعيل بمعنى مفعول ، أو بمعنى فاعل : فالأول إن حمل على الرجم بمعنى الشتم والسب من الله تعالى وعباده كان مجازا . وإن حمل على الرجم بالشهب كان حقيقة ، وإن جعلناه بمعنى فاعل ، كان معناه أن يرجم الناس بدواهيه ومصائبه ، وهو مجاز ."[1]

ويظهر من هذا النص مدى اهتمام العز بمسائل اللغة والنحو والبلاغة ، وبذكر الحذف والحقيقة والمجاز ،ويبرز هذا الاتجاه في كل ما تعرض له العز من الآيات المتشابهات ، وما صوره العز من مشكل حول الآية .

وهذا مثال أخر : " وقدم " إياك نعبد " على " إياك نستعين " لأن إياك نستعين خبر بمعنى الدعاء ، فيكون من النصف المختص بالعبد ، والعبادة مختصة بالله تعالى ، وقد قال عليه السلام حكاية عن ربه :" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين " ثم قال :" وإذا قال العبد : إياك نعبد وإياك نستعين قال الله : هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل " فقدم إياك نعبد ليقع ما لله نصفه ، وما للعبد في نصفه ، أو قدم اهتماما بذكر العبادة لأنهم يقدمون الأهم فالأهم .

وقال " إياك " ولم يقل : إياه ، وإن كان هو الأصل ، لمناسبة قوله الحمد لله وما بعدها – لأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب يسمى الالتفات ، وفيه تنشيط للسامع وبسط له ... اختلف النحاة في إياك " . فقال الخليل :" إيا " اسم مضمر ، أضيف لما بعده للبيان لا للتعريف ... ، وقال المبرد هو اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف ، وقال الكوفيون : إياك بكماله اسم مضمر ، ولا يعرف مضمر يتغير آخره غيره [2].

وأشار العز إلى التقديم والالتفات في الآية ، نلاحظ إشارته إلى بعض الوجوه النحوية فذكر ثلاثة وجوه للنحاة في "إياك"، نسب الأول إلى الخليل والثاني إلى المبرد والثالث إلى الكوفيين .

---

[1] – العز بن عبد السلام ، فوائد في مشكل القرآن ، ص ٣٤ – ٤٥ .

[2] – المصدر نفسه،٥١ – ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يظهر نبوغ العز وتمكنه من علم البيان والمعاني وسعة علمه بذلك ، فقد عني بالمعاني اللغوية ، إذ يستطرد فيذكر الأصول اللغوية للكلمات ويستشهد عليها بالشعر ، لأنه يرى أن تفسير القرآن يتوقف على معرفة اللغة ، وقد أوضح ذلك في كتابة " الإشارة إلى الإيجاز " فقال : " وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب . قال ابن عباس : إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب ، فما كان موجبا للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد والبيت والبيتين من الشعر وما كان موجبا للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك. "[١]

ومن أمثلته كذلك بيانه لأصل اشتقاق الكلمة ، وربطه بينه وبين الكلمة في الآية من قوله تعالى : ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ (سورة البقرة اية ٣) قال العز :" أصل الرزق الحظ ، فكان ما جعله حظا من عطائه رزقا ." ينفقون " وأصل الإنفاق الإخراج نفقت الدابة : خرجت روحها ، والمراد : الزكاة ، أو نفقة الأهل ، أو التطوع بالنفقة فيما يقرب إلى الله تعالى .[٢]"

وكثيرا ما يستشهد العز بالشعر على معاني بعض الكلمات ، ومثال ذلك : قوله تعالى: ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**﴾ (سورة البقرة اية ١٧) قال العز : " أي حالهم كحال الذي استوقد نارا ، أو قضيتهم كقضيته أو شأنهم كشأنه.

قال ابن عطية : مثلهم مبتدأ ، والخبر في الكاف ، وهي على هذا اسم ، كما قال الأعشى :

هل تنتهون ؟ ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُل

ويجوز أن يكون الخبر محذوفا ، تقديره : مستقر ، فالكاف على هذا حرف ، ولا يجوز ذلك في بيت الأعشى .[٣]

وكذلك قوله تعالى : ﴿**وذكرهم بأيام الله**﴾ (ابراهيم ، ٥) قال العز : وذكرهم : عظهم بما سلف من الأيام الماضية ، أو بالأيام التي انتقم فيها من القرون الأولى أو بنعم الله لأنها تسمى بالأيام .

وأيام لنا غرّ طوال ... "[٤]

---

[١] – الاشارة الى الايجاز ، ص ٣٤١ .

[٢] – مختصر تفسير الماوردي للعز ، تحقيق الوهيبي ٩٩/١ .

[٣] – فوائد في مشكل القرآن ، ص ٨٠ . الديوان ،ص ٧٥

[٤] – مختصر تفسير الماوردي ١٥٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة استشهاده بالشعر – أيضا – ما ذكره في كتاب " الاشارة إلى الإيجاز " في التعبير بالمصدر عن الفاعل في قوله تعالى: ﴿**رب العالمين**﴾ قال : لفظ الرب هنا مصدر رب يرب ربا فهو راب ، أي : راب العالمين ، ومنه قول الشاعرة :

ترتعُ ما رَتَعَتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارٌ

أي : ذات إقبال و إدبار [١].

وأكتفي بهذه الأمثلة للإشارة إلى مدى ضلوع العز في مجال اللغة والبلاغة ، ويلاحظ من خلال ما عرضته من أمثلة أن العز يعنى بذكر الأصول اللغوية للكلمات، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة في الآية ، كما إنه يذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة في اللفظ أو المعنى ، ويشير إلى بعض الوجوه النحوية و البلاغية، ولا يتوقف جهده هذا على كتاب بعينه، بل نلمس ذلك في جميع ما كتبه سواء في مجال العقيدة أم التفسير أو الفقه وأصوله ، وهو في ذلك كله يستشهد بالشعر ، وهذا يؤكد ما ذهب إليه مترجموه: من أنه كان حَسَن المحاضرة بالنوادر والأشعار ويهتم بالشعر .

---

[١] – الاشارة الى الايجاز ص ٢٤ . البيت للخنساء . الديوان ص ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مسائل البلاغة القرآنية

عند الإمام العز بن عبد السلام

٦٦٠ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز عند الإمام العز بن عبد السلام

تمهيد:

الناظر فيما ذكره علماء الشرع والأصول في المجاز وأقسامه وعلاقاته يرى أن علماء الشرع قد توسعوا في دراسة المجاز، وتفننوا في أقسامه، فذكروا كل الأنواع التي ساقها علماء البلاغة، بل زادوا أضربا أخرى[1]، وقد أوصلها العز بن عبد السلام إلى خمسة وثمانين والمائة، غير أنهم لم يميزوا بين تلك الأقسام تمييزا دقيقا كما فعل علماء البلاغة بأن أفردوا كل قسم بحد خاص، لأن اهتمامهم البالغ في الكشف عن بيان القرآن الكريم قد صرفهم عن ذلك، فكان الإطلاق والعموم هو الطابع المميز لدراستهم للمجاز.

وإذا كانت غاية علماء البيان دراسة المجاز وغيره من أنواع البيان دراسة مفصلة ليتمكن المتكلم من صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفسه من الغايات والأهداف، وتوصل الأثر الذي يرونه إلى نفس السامع، فإن علماء الشرع لم يذكروا المجاز و أقسامه بالذات وإنما بالعرض. ذلك أن الأصولي يبحث في الدليل الشرعي الكلي كالقرآن الكريم من حيث ما ينتج من أحكام كلية، وللقرآن الكريم أساليب مختلفة في بيان الأحكام اقتضتها بلاغته وإعجازه، فهو يعرض الأحكام عرضا فيه تشويق للامتثال وتنفير عن المخالفة والعناد، ولهذا نجد فيه ما هو واجب قد ينص على وجوبه بصيغة الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الشهادة لله**﴾ (سورة الطلاق، آية:٢) أو بالتصريح بأن الفعل مكتوب على المخاطبين كقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ (سورة البقرة، آية:١٨٣)، وقد يكون بيان الواجب بذكر الجزاء الحسن والثواب لفاعله، منه قوله عز من قائل: ﴿**ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم**﴾ (سورة النساء، آية:١٣). والمحرم قد يكون بيانه بصيغة النهي مثل قوله تعالى : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ (سورة البقرة، آية:١٩٥) وقد يكون بالتوعد على الفعل أو بترتب العقوبة عليه كقوله عز وجل: ﴿**إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**﴾ (سورة النساء،آية:١٠) وقوله عز وجل: ﴿**ومن يعصِ الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها**﴾ (سورة النساء، آية:١٤).

وبناء على ذلك وجب على الأصولي وكل من يريد استنباط الأحكام من القرآن الكريم أن يعرف هذه الأساليب فيه وكيفية بيانه للأحكام، وما يقترن

---

[1] انظر على سبيل المثال: الشركاني، إرشاد الفحول،١/١٠٠، والآمدي، الإحكام، ١/٢٨، وابن النجار الحنبلي، الكوكب المنير ١/٤٩٠، والأسنوي، منهاج الوصول، ١/٢٩٩، وغاية السول ١/٣١٤، والسعيد ص١٨٨، وابن حزم الإحكام ٤/٥٣٧، والغزالي المستصفى ١/٦٧٧، والسيوطي، المزهر،١/٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنصوص مما يدل على الوجوب أو الحرمة أو الإباحة مدركا دقائق مرامي عباراته ، وطرق الأداء من تعبير بالحقيقة أحيانا وبالمجاز أخرى، ومدى الدلالة في كل طريق من طرق الأداء، وغير ذلك من القواعد اللغوية التي تعرض لها علماء الأصول، وجعلوها من مبادئ أصول الفقه لأنها عرفت من وضع ألفاظ اللغة وأساليبها واستعمال العرب لها في شعرهم ونثرهم.

ولجلال هذا القسم من القواعد اللغوية توسع فيه علماء الشرع بصفة عامة وعلماء الأصول بصفة خاصة وأطالوا الكلام فيه. تعرضوا لمعاني الحروف التي يحتاج إليها المفسر في فهمه للنصوص، لأن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿**وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ (سورة سبأ، آية:٢٤) إذ استعملت "على" في جانب الحق و" في" في جانب الضلال، لأن صاحب الحق مستعلٍ يصرف نظره كيف شاء، وصاحب الباطل منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه.

فالكشف عن بيان القرآن الكريم يتطلب أن يكون الكاشف عنه ذا بيان قوي حتى تكون الوسيلة شريفة شرف الغاية، فلا يعقل أن يكشف عن بلاغته قاصر الباع في البلاغة ضيق الحيلة في الفصاحة.

ولا جرم أن علماء الشرع قد دققوا في فهم أشياء من كلام العرب فهماً لم يصل إليه النحاة ولا اللغويون، بمن فيهم علماء البيان الذين لم يصلوا إلى المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصولي واستقراء زائد على استقرائهم مثاله دلالة " افعل" على الوجوب"،"ولا تفعل" على التحريم، ونحو ذلك من الدقائق التي تعرض لها الأصوليون، وأخذوها باستقراء خاص من كلام العرب وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة النحو والبيان، فهذا ونحوه مما تكفل به أصول الفقه لا ينكر أن له استمدادا من العلوم العربية كالنحو والبلاغة وغيرهما. لكن تلك الأشياء التي استمدتها منها كانت وسيلة لا غاية، وسيلة لفهم النصوص واستخراج ما فيها من الفوائد والأحكام، فإن كان مقصودا لها فبالقصد الثاني ومن جهة ما هو معين على إدراك الغاية.

كما ينبغي الالتفات إلى أن التجوز منه ما يتعلق بالصورة الأدبية ووسائل التخيل فيها، ومنه ما يتصل بطبيعة اللغة في التعبير، وذلك كالتعبير بالعام الذي يراد به الخاص، أو بالجزء الذي يراد به الكل، أو بالكل الذي يراد به الجزء أو غير ذلك. وأغلب هذه التعبيرات لم ترد إلا في الآيات التشريعية، وقد أشار الإمام الشافعي[١] إلى كثير من هذه العبارات قاصدا من

---

[١] انظر رسالته، ص٥١، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيانها كيف يتم استنباط الحكم وكيف يطبق. وغاية ما يقصد إليه أن الفقهاء والمشرعين حاولوا جهدهم أن يكشفوا عن أساليب هذا التجوز.

أما الأدباء والبيانيون فقد حددوا نشاطهم بالبحث في أساليب التجوز القائمة على التخييل أو التمثيل بقصد إثارة النفس وتحريكها نحو أمر من الأمور ترغيبا فيه أو تنفيرا منه.

ونظرا لسعة أقسام المجاز وما قد ينتج عنه من تعقيد وصعوبة في استيعابها، أحاول فيما يلي تلخيصها في شكل رسم لعل ذلك يعين على تصورها ويساعد على فهمها.

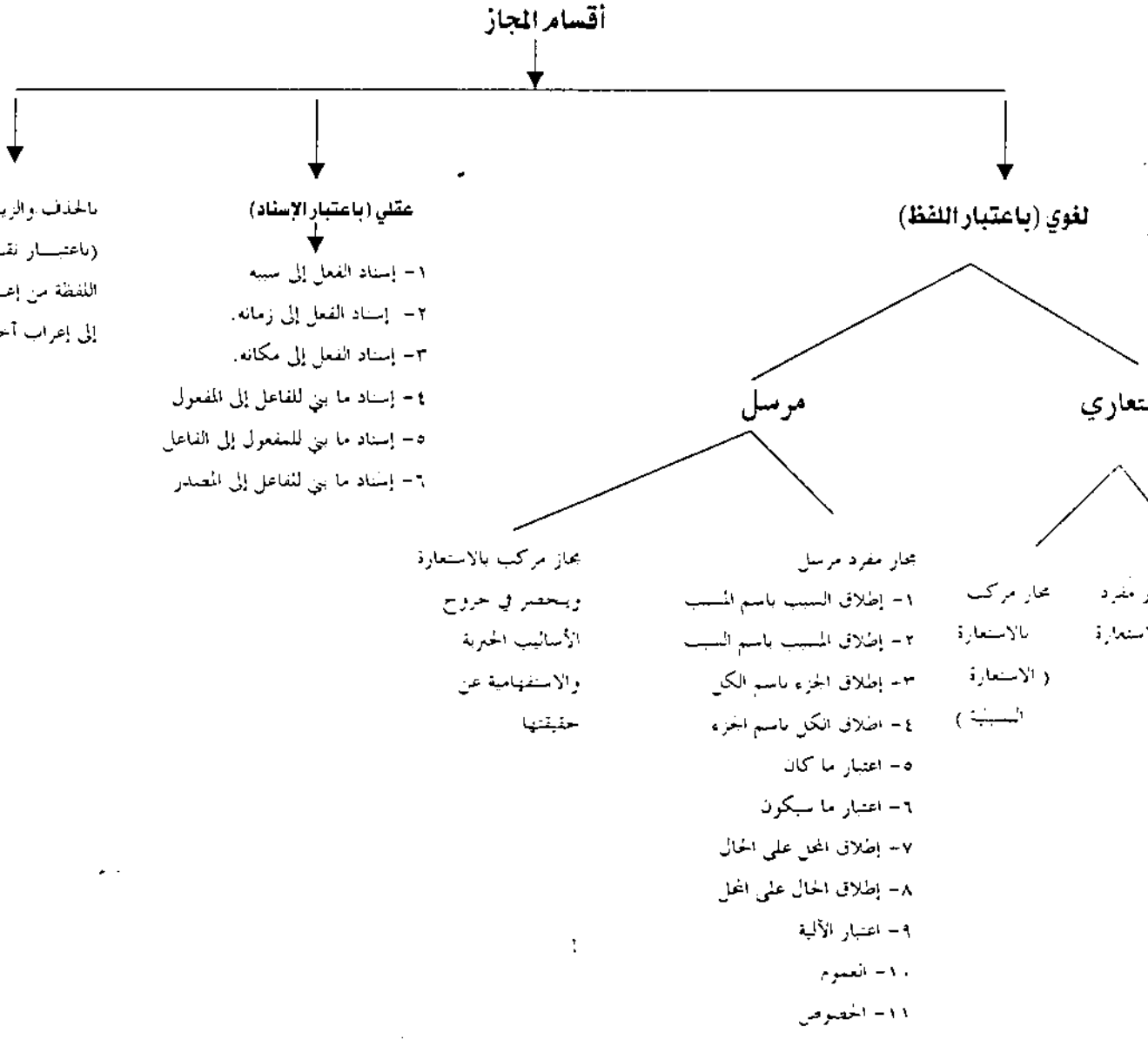

هذا ملخص لأقسام المجاز وعلاقاتها، لم أشأ التوسع في شرحها وبيانها إذ إنها مذكورة بالتفصيل في كتب البلاغة ومطولاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز عند العز بن عبد السلام(٦٦٠هـ):

المجاز ما ليس بحقيقة، وهو فرع لها، فالحقيقة أصل والمجاز فرع، ولا يصح التجوز عنده إلا بنسبة بين مدلولي الحقيقة والمجاز، وهي عنده متنوعة، إذ تراه يقرر ذلك بقوله: " المجاز فرع للحقيقة، لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما يوضع دالا عليه أولا، والمجاز استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالا عليه ثانيا، لنسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز، فلا يصح التجوز إلا بنسبة بين

مدلولي الحقيقة والمجاز، وتلك النسبة متنوعة"[١].

والعز بهذا التعريف يجاري جمهور البلاغيين في تعريفهم للمجاز، ويشبه قول ابن الأثير (٦٣٧هـ) في مثله السائر " اعلم أن كل مجاز فله حقيقة، لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، إذا المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه.....من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها"[٢].

والنسبة بين مدلولي الحقيقة والمجاز التي ذكرها جعلها شرطا في صحة المجاز، وهو يطلق عليها اسم " العلاقة" وهي متنوعة عنده، ولها مراتب ثلاث:

إحداها: العلاقة القوية والواضحة بين محلي الحقيقة والمجاز، فتؤدي إلى المجاز الظاهر والواضح.

الثانية: العلاقة الضعيفة الغامضة: التي تخرج عن المألوف من استعمال العرب وهي ما أطلق عليها " مجاز التعقيد".

الثالثة: بين بين: وهي التي تقع بين القوية والضعيفة، وقد تجوز بها بعض العلماء لقوتها بالمقارنة مع العلاقة الضعيفة، ومنهم من لم يتجوز بها لانحطاطها عن القوية يقول العز: " فإن قوى التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز، فهو الظاهر والواضح، وإذا ضعف التعلق بينهما إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره في المجاز فهو مجاز التعقيد، فلا يحمل عليه شيء من الكتاب والسنة، ولا ينطق به فصيح، وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية، فمن العلماء من يتجوز بها لقوتها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة، ومنهم من لا يتجوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية"[٣].

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص١٨

[٢] انظر: المثل السائر لابن الأثير، ١/٧٢.

[٣] الإشارة، ص١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد أدرك العز أهمية العلاقة، وأنها أصل في تصحيح المجاز، وأساس في توجيه الألفاظ من دلالاتها المتواضع عليها إلى دلالات أخرى.

وليؤكد لنا العز ما ذهب إليه من ضرورة العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي ساق لنا أمثلة من القرآن والسنة، وما نطق به فصحاء العرب، على هذا الترتيب.

فمثال العلاقة القوية عنده " قول الرجل لامرأته: اعتدي واستبرئي رحمك يريد بذلك الطلاق"[١].

واعتبر العز هذا المثال من المجاز القوي، وعلل لذلك بقوله: " من جهة أن الاستبراء والاعتداد مسببان عن الطلاق، والتعبير بلفظ المسبب عن السبب كثير في كلام العرب"[٢].

ومثّل للعلاقة الضعيفة بقول الرجل لامرأته: بارك الله فيك أو أطعميني أو اسقيني، أو تنعمي ينوي بذلك الطلاق، وذكر أن ذلك لا يقع به طلاق لضعف العلاقة الرابطة، ولأن العرب لم تستعمل مثله، فسمّاه لذلك بـ "مجاز" التعقيد[٣].

وهذا النوع الذي تحدث عنه العز جعله البلاغيون من الأسباب المخلة بالكلام، وإذا كان بعضهم يعزو التعقيد إلى قلة المبالاة بقواعد النحو، مقررا أن هذا لا يجيزه العربي، فإن التعقيد عند العز ينشأ من ضعف التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز، إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره في المجاز.

ولذلك نجد مسوغا لإدراج ما ذكره العز ضمن التعقيد المعنوي، وتسميته له " بمجاز التعقيد" تعني أن العز أدخله ضمن المجاز، في حين جعله البلاغيون من الكناية[٤] والكناية جعلها بعضهم من الحقيقة، وبعضهم جعلها من المجاز، والظاهر أن العز يميل إلى جعلها من الحقيقة، كما سيظهر عند الحديث عن الكناية عند العز.

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص١٩.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص١٩.

[٣] والتعقيد نوعان: لفظي: وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد، بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني، فتؤدي إلى اضطراب الكلام وسوء التعبير، وقد عده ابن جني أثرا من آثار الإخلال بقواعد النحو، أما التعقيد المعنوي: فهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل، بسبب انتقال الذهن من المعنى الأول الظاهر إلى المعنى المراد بواسطة لوازم بعيدة منتقرة إلى وسائط كثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المعنى. انظر الخصائص لابن جني، ج٢، ص٣٩٢ وما بعدها.

[٤] انظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ج١، ص١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يعني ترجيح العز للمجاز الظاهر والواضح، ورفضه لمجاز التعقيد أنها دعوة إلى تناول الشيء ظاهرا، فيفقد سحر خفائه، ولكن التعقيد الذي يرفضه العز هو التعمية وغموض المعنى حتى يتعبك ولا تخرج منه بشيء.

والجديد في المسألة هو إدخال العز، التعقيد المعنوي ضمن المجاز، وهو ما أطلق عليه "مجاز التعقيد" وما أضافه العز لا يتوقف عند مجرد التسمية والمصطلح، بل اللافت أنه زودنا بنماذج وأمثلة جديدة للتعقيد المعنوي غير المعهودة في كتب البلاغيين، وإن كانت أمثلته وفق منهج الأصوليين،إلا أنه أكثر من أمثلة القرآن الكريم، وهو في القمة السامقة من الفصاحة والبيان.

ومن الطريف عدم معرفة التعقيد المعنوي في كتب البلاغيين إلا من خلال بيتين اثنين يترددان في كتب البلاغة[1]، وهذا النوع قد يسميه بعض البلاغيين بالمعاظلة[2]، والمعاظلة هي التعقيد في الكلام.

وما دام في الكلام تعقيد فقد خرج عن دائرة الفصاحة لفقده عنصر الربط بين الدلالة واللفظ ، ولا يجوز أن تتبادل الألفاظ مواقعها من غير أن تكون هناك روابط، وعلاقات قوية بين هذه المواقع، وتكون هذه الروابط والعلاقات بمثابة علامات مضيئة تجعلنا ندرك المراد من الكلمة دون إتعاب الفكر، وكد الذهن، وإلا كان الاستعمال المجازي ضربا من الفوضى، لا يرشدنا إلى حقيقة، ولا يهدينا إلى معنى.

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) إلى أهمية العلاقة، وأنها أصل في المجاز[3] وذكر أنها تقوى وتضعف، وذكر نصوصا أدبية وحللها وفق ما ذهب إليه.

ولعل العز بن عبد السلام قد اطّلع على ما كتبه عبد القاهر في هذا الصدد وتأثر به، وإن كانت هذه المسألة أكثر دورانا عند الأصوليين منها عند البلاغيين.

وعودة ثانية إلى العلاقة المختلف فيها، وهي التي بين الضعيفة، والقوية ومَثَّلَ لها العز بقول القائل " أغناك الله" يريد بذلك الطلاق، أخذا من قوله تعالى ﴿وإن

---

[1] أحدهما: لعباس بن الأحنف وهو بيت مشهور قوله:

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

والثاني: بيت الفرزدق: قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه.

انظر جواهر البلاغة في المعاني والبديع للسيد الهاشمي، ص٣٥،ص٣٨

[2] انظر : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري والطراز للعلوي ٣/. د.

[3] قال: " وأما الجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في موضع واضعها للملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز انظر: أسرار البلاغة ص٣٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتفرقا يغن الله كلا من سَعَته﴾ (سورة النساء، آية:١٣٠) ويتوقف ترجيح العز لمثل هذه العلاقة ورقيها إلى مستوى العلاقة لقربها منها على نية القائل فيقول. " ولو نوى بارك الله فيك أغناك الله، فلا عبرة بنيته لفرط تعقيده، وإلغازه".[١]

وهو في هذه الحالة لا يرجح التجوز بها لمجرد انحطاطها عن العلاقة القوية بل هي أدنى من الضعيفة لفرط التعقيد والإلغاز.

وذكر مثالا آخر لا يعتد به كقول القائل لزوجته: "اشربي" يريد بذلك الطلاق، ومن أدق الأمثلة المختلف فيها قول القائل لزوجته: " ذوقي وتجرعي يريد بذلك الطلاق أيضا، ودقة هذا المثال ترجع إلى كثرة ما أورده من أدلة قرآنية، واستعمالات العرب للفظ نفسه إذ يقول العز:

" وإن قال: ذوقي وتجرعي، فقد تستعمل العرب الذوق والتجرع في وجدان كل ما يشق على النفوس، ومنه قوله تعالى:﴿ **فذوقوا العذاب**﴾ (سورة الأنعام،آية:٣٠) وقوله تعالى ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ (سورة الدخان،آية:٤٩) وقوله: ﴿**فذاقت وبال أمرها**﴾ (سورة الطلاق، آية:٩)".[١]

وإذا نظرنا إلى الأفعال التي وردت في الآيات المستشهد بها نجد أنها قد استعملت في معنى مجازي، فالذوق هنا ليس محسوسا باللسان، وإنما هو أمر معنوي يشق على النفس أن تتقبله، ويضعف الوجدان أن يتحمله، فالفعل "ذاق" لم يستعمل في معناه الحقيقي كما ذكر العز، بل تجاوز المعنى الحقيقي المعروف إلى معنى مجازي مقصود، وهو ما اعتبره من مجاز التشبيه.

ووجه العز المثال السابق بقوله: " فهذا من مجاز التشبيه، شبه وجدانها مشقة الفراق والطلاق بتجرع ما يشق تجرعه، وذوق ما يشق ذوقه[٢]

ومما لاشك فيه أن العز فقيه متبحر في علوم الشريعة، وقد أثّرت ثقافته على تطبيقاته، فهو يكثر من التطبيق الفقهي في مجال البلاغة[٣]، وهذا ما سيتجلى عند تفصيل أنواع المجاز المختلفة عنده وتمثيله لها.

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز، ص١٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) انظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام، د. أحمد بدوي، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعلقات المصححات للمجاز عند العز:

ذكر العز كثيرا من أنواع التعلقات المصححات للمجاز على طريقة الأصوليين، ومنها تجوز العرب بلفظ العلم عن المعلوم، وبلفظ المعلوم عن العلم، وبلفظ القدرة عن المقدور وبلفظ الاستطاعة عن المستطاع.. الخ[١].

وهذا ما لا نجده في كتب البلاغيين، وإنما هو من قبيل التوسع في فهم معاني القرآن الكريم، وفَصَّل العز الحديث عن هذه العلاقات في موضع آخر. ومن العلاقات التي ذكرها في هذا الباب، وهي تربو على أربعين علاقة، السببية والمسببية، والحالية، والمحلية، والتجوز بالبعض عن الكل، وبالكل عن البعض، وهذا الباب هو ما ذكره البلاغيون في مباحثهم تحت عنوان " المجاز المرسل" غير أن العز خلط بين علاقات المجاز المرسل وغيرها من أنواع المجاز الأخرى كما فعل الأصوليون.

ومعنى هذا أن علاقات المجاز المرسل كانت غير دقيقة عند العز، وغير محددة، إنما كانت ثوبا فضفاضاً يتسع لكثير من ألوان التعلقات المصححات للمجاز.

وقد بَيَّنَ في حديثه عن العلاقة المصححة للمجاز أنها مجرد النسبة والتعلق والارتباط بين المتجوز، والمتجوز عنه، فيسمي بعضها بما عرف عند البلاغيين، ويترك معظمها للتعرف عليه بالفطنة من خلال السياق المذكور.

ومن ثم يبدو أنه قد فَتَّتَ العلاقة المصححة تفتيتا شديدا، ومزق أوصالها، وأودع كل جزء منها في مكان بعيد عن الآخر.

والعلاقات قد تتعدد عنده في الآية الواحدة، وكل علاقة تنفرد عن الأخرى حسب الجهة التي حصل منها التجوز، فقد تكون العلاقة اللزومية أو السببية أو المماثلة أو التشبيه. قال العز: "قد يكون بين محلي الحقيقة والمجاز نسبتان فصاعدا وكل واحدة منهما تصلح للتجوز من وجهة غير الوجهة التي تصلح له الأخرى مثل أن يكون بين محلي الحقيقة والمجاز ملازمة مصححة لمجاز الملازمة، وتسبيب مصحح لمجاز التسبيب ومماثلة مصححة لمجاز المشابهة والمماثلة"[٢].

---

[١] انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص١٩.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث عن الاستعارة، وهو في حديثه عنها لم يوضح معناها، ولا أنواعها أو تقسيماتها، كما فعل البلاغيون، بل اكتفى بمجرد الإشارة إلى اختلاف العلماء في كونها مجازا أو غير مجاز، وواضح من كلامه أنها من المجاز، فقال: "واختلفوا في التعبير عن جميع أنواع المجاز بالاستعارة، فمن العلماء من يجعل المجاز كله استعارة، كأنك استعرت اللفظ من مستحقه الذي وضع له أولا ونقلته إلى ما تجوزت به عنه، وبهذا سموه مجازا لأنك جزت به عن مدلول الحقيقة إلى مدلول المجاز فأشبه المجاوزة من محل إلى محل، ومن مكان إلى مكان، فإذا قلت رأيت أسدا تعني الرجل الشجاع، فقد استعرت من الأسد اسمه للرجل الشجاع.

ومن العلماء من لم يجعل الجميع استعارة، ويخص الاستعارة بما لم يذكر المستعار له كقولك: رأيت أسدا وبحرا، تريد بذلك الشجاع والجواد وهذا خلاف لا فائدة له إلا في المجاورات"[1].

ثم أخذ بعد ذلك في بيان المجاز عند العرب فقال: " وقد تجوزت العرب في الأسماء والحروف والأفعال، فمن التجوز في الأسماء: التعبير بالأسد عن الشجاع، وبالبحر عن الجواد، وبالنور والحياة عن الإيمان والعرفان.."[2].

وشرع بعد ذلك يفصّل الكلام عن كل هذه الأنواع، ويفرد لها فصولا مستقلة منها: المجاز في الحروف، والمجاز في الأفعال، ومجاز التشبيه الذي فصّل فيه الحديث عن الاستعارة، ومجاز الملازمة، ومجاز المجاز، والجمع بين الحقيقة والمجاز، فضلا عن حديثه عن علاقات المجاز المرسل، وسأتناول أهَمَّ أنواع المجاز عند العز بالتفصيل، وبيان العلاقة بينه وبين البلاغيين من جهة، وبينه وبين الأصوليين من جهة أخرى.

---

[1] العز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص٢٠.

[2] المصدر نفسه، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- التعبير بالمستقبل عن الماضي:

ومن أمثلة العز لهذا النوع قوله تعالى: **﴿ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾** (سورة البقرة آية:٨٧). معناه: فريقا قتلتم، وقول الشاعر:[١]

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمة قلتُ لا يعنيني

معناه: ولقد مررت.

وقوله تعالى: **﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾**(سورة البقرة آية:١٠٢)، أي اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان.

ولقد رجَّحَ العز أن يكون الفعل في الآيتين السابقتين حكاية للحال الماضية، فقال: ويجوز أن يكون الفعل في هاتين الآيتين حكاية للحال الماضية، كقوله تعالى: **﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾** (سورة الصافات آية:١٠٢) معناه: إني رأيت في المنام أني أذبحك، أو تكون حكاية ماضية، وذكر لذلك أمثلة كثيرة من القرآن الكريم.[٢]

ولم يذكر العز الغرض البلاغي لهذا النوع كعادته لأنه كان مشغولا بإبراز مسألة التجوز فيه، والغرض البلاغي كما ذكره البلاغيون هو استحضار الصورة في النفوس وتصويرها في القلوب، وذلك لفظاعة شأنها وتهويل أمرها، ولا شك أن الفعل الماضي ربما لا يفي بنقل صورة كهذه، الهدف منها هو استحضار بشاعة الفعل في قتل الأنبياء وتصوير فظاعته[٣].

وأما قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا ويصدون﴾** (سورة الحج آية:٢٥) فقد ذكر العز لها ثلاثة تقديرات:

أحدها: التعبير بالمستقبل عن الماضي: إن الذين كفروا وصدوا.

والثاني: إن الذين كفروا ويصدون تعبير بالماضي عن المستقبل.

والثالث: إن الذين كفروا وهم يصدون فيكون موضعه نصبا على الحال.

---

[١] البيت لرجل مجهول من بني سدوس، وقيل هو لشمر بن عمرو الحنفي. البيت في الخصائص ج٣، ص٣٣٠. كتاب لسيبويه ٤٣/٣، [illegible]

[٢] انظر الكشاف ١٨٩/١، والمثل السائر، ٤١٦/١، والطراز ج٢، ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز في الأفعال

التجوز في الأفعال:

ذكر العز ضمن هذا الباب أنواعا من الأفعال عدّها البلاغيون من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، لكنه لم يُسمّها بهذا الاسم، ولم يزد فيها على تقصي الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وفصيح كلام العرب.

١- التجوز بالماضي عن المستقبل:

وقد جعل ابن الأثير وابن القيم هذا النوع أحد تقسيمات الالتفات، وهو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول[١]، وسمي بالالتفات لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض[٢].

ولم يذكره العز بهذا الاسم على الرغم من تصريحه به في كتاب فوائد في مشكل القرآن" إلا أنه قصره على الخروج من التكلم إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى المغايبة وذكر أنه قد يسمى التلوين أيضا[٣].

أما هذا النوع من التعبير فقد جعله العز من المجاز مخالفا بذلك ابن الأثير وغيره من البلاغيين.

ويبرز هذا النوع (التجوز بالماضي عن المستقبل) في كل ما يحدث في الآخرة من أقوال أهل الجنة أو النار، وإخبار أهل الموقف، وخزنة الجنة والنار، وما يحدث من أهوال القيامة، ويغلب ذلك إذا كان معنى الفعل من الأمور الهائلة العظيمة التي تشيع الخوف في النفوس، وتزرع المهابة في القلوب[٤].

وأخبار الله - عز وجل - أخبار يقينية مقطوع بوقوعها، وإن لم تقع بعد، تشبيها لها في التحقيق، وكذلك الشرط لأن الأصل فيه أن يكون مستقبلا، فإذا ما عُبِّرَ عنه بالماضي فإنه يكون على طريق المجاز مثل : إذا جئتني أكرمتك، والشرط

٥٢٨٨٦٠

(١) الطراز، ج٢، ص١٣٢.

(٢) المثل السائر ج١/٤٠٨.

(٣) نظر فوائد في مشكل القرآن، ص٥٢.

(٤) فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، ص٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجوابه يدخل ضمن التجوز بالماضي عن المستقبل لأن الشرط لا يكون إلا بمستقبل، والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة.

وجعل العز التعبير بالماضي عن المستقبل مجاز تشبيه، شبه المستقبل في تحققه وثبوته بالماضي الذي دخل في الوجود بحيث لا يمكن رفعه، وذلك في الشرط وجوابه، وفي غيرهما[١].

وذكر أمثلة عديدة وجه بعضها، وترك معظمها من غير توجيه، فمن أمثلته قوله تعالى : ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾ (سورة النحل آية: ١). فإن أتى "هناك بمعنى قرب. وذكر البلاغيون أن التعبير بالماضي عن المستقبل لا يُعَد عجزا عن التعبير، وإنما هو لقيمة بلاغية عالية، فالله عز وجل - لم يعجز عن نقل هذا التعبير إلى المضارع، ولكن التعبير بالماضي هنا يقصد قصدا لسر بلاغي وفائدة جليلة، وفائدته:"أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها[٢]. وذلك لأن إيثار الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار ويدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعا به.[٣]

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٦،ص٢٧.

[٢] المثل السائر، ١/٤١٩.

[٣] المصدر نفسه، ١/٤١٩. والطراز ج٢، ص١٤٠، والفوائد المشوق لابن القيم، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتقديرات التي ذكرها العز في الآية تحتاج من الباحث إلى نظر لاختلاف الأراء حولها[١]، وقد كان لابن الأثير في الآية شأن آخر، فهو لم يجعلها ضمن التعبير بالمستقبل عن الماضي، وعدّ من أدخلها فيه جاهلا، والغريب من ابن الأثير أن يصرح بأن هذا النوع غير بلاغي مخالفا بذلك جمهور البلاغيين[٢].

وما ذكره ابن الأثير ومن تابعه في الآية محل اختلاف تعرض له العز ضمن التعبير بالمضارع عن الأحوال المستمرة في الماضي والحال والاستقبال، فقال، " أما التعبير بالمضارع عن الحال المستمرة في الماضي فإنه مجاز أيضا، لأنه وضع للحال والاستقبال، فكأن استعماله في الأزمان الثلاثة استعمال له في غير ما وضع له"[٣]ويلفت العز إلى أن الحدث قد يقع في المستقبل في زمن معين، فإذا ما خرج عن هذا الزمن واستمر حدوثه، فإنه قد يكون بذلك على طريق المجاز لأنه استمر وتجدد.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا – أن بعض البلاغيين جعل هذه الأنواع من الالتفات، وبعضهم جعلها من خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر[٤].

أما العز فقد عدّها من قبيل المجاز، وحدد نوعية المجاز فيها، وأنه من حيث الزمن لأن الفعل له دلالتان: الأولى للحدث، والثانية: للزمن، والمجاز التشبيهي على حد قول العز في أحد دلالتي الفعل وهو الزمن.

ثم تحدث العز عن التجوز فيما سماه البلاغيون: وقوع الخبر موقع الإنشاء أو خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وتحدث كذلك عن وقوع الإنشاء موقع الخبر.

١- التجوز بلفظ الخبر من الأمر:

ذكر لهذا النوع أربعة أمثلة من القرآن الكريم. أحدها: قوله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصّنَ بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا**﴾ (سورة

---

[١] ذكر الزمخشري أن الآية لا يراد بها حال ولا استقبال، وإنما استمرار وجود فقال: ويصدون عن سبيل الله: أي الصدود منهم مستمر دائم، وفي ذلك مخالفة لما ارتأه العز، انظر الكشاف ٣/١٥١-١٥٢.

[٢] انظر المثل السائر، ١/٤١٧، ١/٤١٩.

[٣] الإشارة إلى الإيجاز،ص٢٧.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البقرة آية:٢٣٤) معناها عند العز: ليتربصن المتوفى عنهن أزواجهن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا[١].

الثاني: قوله تعالى **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾** (سورة البقرة: آية٢٣٣) ومجاز الآية في رأيه: أي لترضع الوالدات أولادهن حولين كاملين.

الثالث والرابع: قوله تعالى : **﴿تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾** (سورة الصف آية:١١) معناه عند العز: آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ولذلك أجيب بالجزم في قوله تعالى: **﴿يغفرلكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** (سورة الصف آية:١٢).

والآية عند الزمخشري (٥٣٨هـ) خبر في معنى الأمر[٢]، وذكر أن إخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد له وإشعار أنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله[٣].

ومما يحسب للعز في هذه المسألة أنه يرفض أن يكون قوله تعالى **﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات﴾** (سورة الصف آية:١٢)، جوابا للاستفهام كما ذهب الفراء[٤]، ولا يكتفي بمجرد الرفض، بل يذكر الدليل على ما ذهب إليه فيقول: " ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله تعالى: هل أدلكم، لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة.

والعز – كعادته – لم يذكر الغرض البلاغي، وكان اهتمامه موجها إلى توضيح ما في هذا الخروج عن أصله أحقيقة هو أم مجاز؟ وهو لا يكتفي بعده من المجاز، بل يحدد نوعية هذا المجاز، ويجريه في الآية السابقة فيقول: " هذا من مجاز التشبيه شبه الطلَبَ في تأكده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٧.

[٢] الكشاف، للزمخشري،٤/٥٢٧.

[٣] المصدر المصدر نفسه، ١/٢٩٨.

[٤] معاني القرآن ج٣ص١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الماضي كان أوكد، وكذلك الدعاء والأمر والنهي إذا أريد تأكيدها عبّر عنها بالخبر المستقبل، فإن بالغت في التأكيد تجوزت عنه بالخبر الماضي"[١].

٢- التجوز بلفظ الأمر عن الخبر:

وهذا النوع من وقوع الإنشاء موقع الخبر.

قال العز: " التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيد للخبر لأن الأمر للإيجاب، فيشبه الخبر في إيجابه"[٢] وذكر لذلك أمثلة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا**﴾ (سورة مريم، آية:٧٥) قدّره بقوله: "قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدا"، والمثال الثاني قوله تعالى: ﴿ **اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم**﴾ (سورة العنكبوت آية:١٢) قدّره بقوله: "اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم"[٣].

٣- التجوز بجواب الشرط عن الأمر:

ومن شواهده في هذا النوع قوله تعالى ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا**﴾ (سورة الأنفال آية:٦٥) وكذلك قوله تعالى: ﴿**فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**﴾ (سورة الأنفال آية: ٦٦).

ذكر العز أن معنى " يغلبوا" في الآيات أي " فليغلبوا"، وبين الغرض البلاغي من التجوز بجواب الشرط عن الأمر بقوله: " والمراد به التأكيد لأنه خبر تجوز به عن الطلب"[٣].

٤- التجوز بنهي من يصح نهيه والنهي في الحقيقة غيره:

ذكر العز لهذا النوع آيات كثيرة واكتفى بتوجيه الآية - كعادته - إذ حدد نوع المجاز في بعضها، ولم يحدد نوعه في الأخرى.

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٨.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٨.

[٣] نفس المصدر، ص٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما ذكره من أمثلة قوله تعالى : ﴿ **ولا يصدّنّك عن آيات الله**﴾ (سورة القصص آية:٨٧) معناه: ولا يصدن عن آيات الله بسبب صَدّهم إياك، وكذلك قوله تعالى:﴿**فلا يَصُدّنك عنها من لا يؤمن بها**﴾ (سورة طه آية:١٦) معناه: فلا يصدن عنها.

وقد جعل العز الأية الأولى ومثيلتها من مجاز التسبيب دون أن يحدده من جهة السبب أو المسبب[١].

ومثل هذا النوع من الخطاب لأنبيائه المعصومين على سبيل التهييج والإلهاب،على حد قول الزمخشري - لأنه يبعد أن يقترب هولاء المصطفون الأخيار من ساحة المنهي عنه، فإذا كان موسى - عليه السلام - وهو نبي يُنْهَى عن التكذيب بالساعة واستماع أقوال الكفار في هذا، فما بالنا نحن.

لا شك في أن مثل هذا الأسلوب فيه تهييج وإلهاب لمشاعرنا كي نحرص على الإيمان بالبعث وعدم الاستماع لأقوال الكفار فيما يختص به.

وبذلك يظهر مدى التجوز باللفظ فيمن يصح نهيه والمنهي في الحقيقة غيره - كما ذكرت. ومما ذكر العز من أمثلة أخرى قوله تعالى ﴿ **لا يحطمنكم سليمان وجنوده**﴾ (سورة النمل آية: ١٨) ومعناه عند العز: أي لا تلبثن فيحطموكم[٢].

ويلاحظ أن التحطيم هنا - مسبب عن اللبث ، والمراد النهي عن اللبث، المراد به التحطيم الناتج بسبب جنود سليمان - عليه السلام - وذلك أبلغ.

مجاز التضمين :

يجدر قبل دراسة جهود العز في هذا الدرس البلاغي تقصي معنى التضمين لغة، واصطلاحا، لأن حديث العز وتوضيحه له يختلف عما تناوله البلاغيون وغيرهم في كتبهم.

---

[١] في حين يجعل الزمخشري الأية من مجاز التسبب على الوجهين أحدهما: أن صد صدالكافر عن التصديق كما سبب للتكذيب، فذكر السبب ليدل على المسبب، والثاني: أن صدر الكافر مسبب عن رحاوة الرحل في الدين ولين شكيمته فذكر السبب يدل على السبب. انظر الكشاف، ٣/٥٨.

[٢] وهذا التوجيه من العز قريب من توجيه الزمخشري للآية يقول لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة: لا أرينك هينا، انظر الكشاف، ٣/٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتضمين لغة: ضمنته الشيء تضمينا، والمضمن كمعظم من الشعر، وهو ما ضمنته بيتا، والمضمن من البيت ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه، وتضمنه: اشتمل عليه[١].

ويقول ابن جني عن التضمين: " ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا، لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابا ضخما، وأنه فصل من العربية لطيف يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد[٢].

وذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أن ابن الأثير ذكر في كتاب " المعاني المبتدعة" أن التضمين واقع في القرآن خلافا لما أجمع عليه أهل البيان[٣] الذين يجمعون على أن معناه هو قصدك إلى البيت من الشعر فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه[٤]، أو يكون الفصل الأول مفتقرا إلى الفصل الثاني، والبيت الأول محتاجا إلى الأخير[٥].

وقد ذكر ابن الأثير أنواعا من التضمين منها الحسن ومنها المعيب، ومنها الكلي ومنها الجزئي[٦]، والتضمين من القرآن الكريم هو الاقتباس منه، وليس فيه[٧]. والتضمين الذي تحدث عنه العز يختلف عما تحدث عنه البلاغيون، وهو يعرفه بقوله: "هو تضمين اسم معنى اسم آخر لإفادة معنى الاسمين، وتضمين فعل معنى فعل لإفادة معنى الفعلين"[٨].

وبَيَّنَ العز أن التجوز بالتضمين من شأن العرب لغرض الاختصار والإيجاز فقال: " وقد تجوزت العرب بالتضمين أيضا فضمنوا اسما معنى اسم آخر فعدوه تعديته ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه، وذلك اختصار منهم، وضمنوا فعلا معنى فعل آخر فعدوه أيضا تعديته"[٩].

الغرض من التضمين كما ذكر العز هو الاختصار، لأنه يعطي مجموع المعنيين في معنى واحد، وبذلك يكون مجاز التضمين عنده قريبا من مجاز الحذف،

---

(١) مادة ضمن/ القاموس المحيط.

(٢) سر الصناعة لابن جني ج٢، ص٣١٢، وحاشية السيد الشريف على الكشاف، ج١،ص١٢٦.

(٣) البرهان للزركشي ٣/٣٩٤.

(٤) العمدة لابن رشيق(٤٥٦هـ) ٢/٨٤، العمدة في محاسن الشعر.

(٥) الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص١٦٤.

(٦) المثل السائر ٢/٢٨٧-٢٩١.

(٧) التبيان في علم البديع والبيان لطيبي ص٤١٣.

(٨) الإشارة إلى الإيجاز ص ٥٤.

(٩) الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه، ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته – كما ذكر السيد الشريف[١]، فيفهم من ذلك أن الغرض من الحذف والتضمين الاختصار والتخفيف.

والتجوز بالتضمين عند العز يكون في الأسماء والأفعال والحروف أيضا.

١- التضمين في الأسماء:

ومن أمثلته التي ذكرها العز قوله تعالى: ﴿**حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**﴾ (سورة الأعراف آية:١٠٥) قال العز " ضمن حقيق معنى حريص ليفيد حرصه على ذلك، وكونه حقيقا به فعداه تعدية حريص[٢]، وفي موضع آخر ذكر أنه ضمن "حقيق" معنى "حريص" ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه"[٣]، واكتفى العز بهذا المثال ولم يذكر غيره من الشواهد.

٢- التضمين في الأفعال: والتضمين في الفعل كما ذكر العز: " أن تضمن فعلا معنى فعل لإفادة معنى الفعلين، وتعديه أيضا تعديته في بعض المواطن، وذكر لذلك أمثلة منها قول الشاعر:[٤].

قد قتل الله زيادا عني.[٥].

قال: " ضُمِّن قتل معنى صرف" لإفادة أنه صرفه بالقتل دون ما عداه من الأسباب فأفاد معنى القتل والصرف جميعا[٦].

ولذلك ذكر ابن جني أنه لما كان معنى قد قتله، قد صرفه عداه " بعن"[٧] ولهذا السبب فقد عَدَّ النحويون التضمين من وسائل التعدية[٨].

---

(١) حاشية السيد الشريف على الكشاف، ج١،ص١٢٧.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز، ص٢٩.

(٣) ذكر الزمخشري في الآية نفسها أوجها منها: أن يضمن حقيق معنى حريص، كما ضمن هيجني معنى ذكرني، انظر الكشاف، ٢/ ١٣٠.

(٤) هي مقطوعة من "رجز" للفرزدق، قالها لما بلغه موت زياد بن أبيه، الذي غضب عليه وفر من البصرة إلى المدينة خوفا منه. انظر شرح شواهد المغني للسيوطي، ٢/٧٦٢.

(٥) انظر الخصائص لابن جني ج٢، ص٣١، وتمامه: كتف تراني قائما تحني. أضرب أمري ظهره لبطني.

(٦) الإشارة إلى الإيجاز ص٥٥.

(٧) انظر: الخصائص لابن جني ج٢،ص٣١٢.

(٨) انظر: البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد أفاض العز في حديثه عن التضمين في الفعل على نحو لم يسبق إليه عند البلاغيين، وإن كان العز يتفق أحيانا مع توجيهات الزمخشري، الذي يصرح بالمصطلح حينا، ولا يصرح به أحيانا أخرى، ونادرا ما يختلف العز معه في التوجيه دون التسمية.

وقد ذكر العز للتضمين في الفعل ما يزيد على سبعة وأربعين مثالا، يكتفي بذكر بعضها.

أحدها: قوله تعالى ﴿ **وأخبتوا إلى ربهم**﴾ (سورة هود آية:٢٣)، ووجهه بقوله : " ضمن أخبتوا" معنى تابوا وأنابوا" فعداه بإلى ليفيد أنهم جمعوا بين التوبة والتواضع، وبذلك يفيد الفعل المضمن هنا معنى الفعلين معا: الإخبات والإنابة مما يؤدي إلى الاختصار، وذلك لأن الفعل المضمن آخر من شأنه أن يبقي على معناه الأصلي مضافا إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا"[١].

وطالما أكد العز على هذه الفائدة من خلال توجيهه لأمثلته مسترشدا بالقرآن في اختياره للمعنى المضمن في الفعل ويستحسنه ومثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى ﴿ **يؤلون من نسائهم**﴾(سورة البقرة آية: ٢٢٦) بقوله : " ضمن معنى: يمتنعون من وطء نسائهم بالإليه: لإفادة المعنيين"[٢] وقوله تعالى ﴿ **الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة**﴾ (سورة إبراهيم آية:٣) قال: ضمن معنى يختارون راحة الحياة الدنيا وأعراضها على ثواب الآخرة، أو يؤثرون، وهو أحسن لقوله تعالى : ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا**﴾ (سورة الأعلى آية: ١٦)[٣]، وقوله تعالى: ﴿ **فاستقيموا إليه**﴾ (سورة فصلت آية:٦) قال العز: " مضمنا معنى فأنيبوا إليه أي فارجعوا إلى توحيده."[٤]

وقد يتضمن الفعل عند العز أكثر من معنى ليصل إلى أربعة معان، وهو يختلف باختلاف الموضع نفسه، فالفعل "كتب" في قوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم القتال**﴾ (سورة البقرة آية: ٢١٦) وقوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم الصيام**﴾ (سورة البقرة آية:١٨٣) وقوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم القصاص**﴾ (سورة البقرة آية: ١٧٨) يتضمن معنى " فرض"، ويختلف المعنى المضمن في قوله تعالى: ﴿ **لو كنتم في**

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز، ص ٥٥ ...
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ (سورة آل عمران آية: ١٥٤) فالفعل كتب هنا – يتضمن معنى قضي عليهم.

وهكذا يمضي العز يعرض التضمين في الفعل بأمثلة من القرآن الكريم بطريقة غير معهودة من قبل لدى البلاغيين القدامى للتأكيد على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

فيقول: في قوله تعالى **﴿يؤمنون بالغيب﴾** (سورة البقرة آية:٣) أي يقرون بالغيب لإفادة معنى التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وكذلك في قوله تعالى: **﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾** (سورة آل عمران: آية:٧٣) ومثله قوله تعالى: **﴿آمنوا بالله﴾** (سورة النساء آية:١٣٦) معناه: صدقوا بوحدانية الله وأقروا بها، ضمن آمن معنى أقروا فعداه تعديته فصار متضمنا لتصديق الجنان وإقرار اللسان[1].

وتحسن الإشارة إلى أن بعض البلاغيين يرى أن التضمين في الفعل قد يكون مستعملا في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته، فتارة يجعل المذكور أصلا في الكلام، والمحذوف حالا كما في تأويل الزمخشري لقوله تعالى: **﴿يؤمنون بالغيب﴾** أي يعترفون به، فإنه لا بد حينئذ من تقدير الحال: أي يعترفون به مؤمنين، وإلا لم يكن تضمينا بل مجازا عن الاعتراف[2].

ويرى ابن جني أن هذا الباب (التضمين) خال من الدقة والصنعة عند من سبقه من اللغويين والنحاة، لأنهم لا يعنيهم فيه إلا أن يقولوا: وضع هذا الحرف مكان ذاك وكفى، ولم يصلوا لدقة الصنعة فيه، ومن ثم فهو الذي وضع له الحدود والرسوم فيقول " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد، مع ما هو في معناه[3] ،وذكر لذلك مثالا من القرآن الكريم قوله تعالى: " : **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾** (سورة البقرة آية: ١٨٧).

---

[1] الإشارة إلى الإيجاز، ص٥٦.

[2] انظر الكشاف وحاشية السيد الشريف ١/٨٠.

[3] الخصائص ج٢،ص٣١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من اختلاف العز مع ابن جني فيما ذكره من شواهد شعرية في التضمين إلا أنهما يتفقان في المضمون العام، وفي توجيه الآية السابقة.

والتفت الزمخشري لهذه الإشارة، فلم يغفل ذكر التضمين في مواضعه من القرآن الكريم إذ يقول في قوله تعالى ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾ (البقرة آية:١٨٧) " فإن قلت: لم عدى الرفث بإلى؟ قلت لتضمينه معنى الإفضاء"[١].

وقد تأثر العز بمقالة الزمخشري في الآية فقال العز : " الرفث هو الكلام القبيح... تجوز بالرفث عن مدلوله، ثم ضمن مدلوله معنى الإفضاء، لإفادة المعنيين فعداه تعديته أو تجوز بالرفث عن متعلقة وهو الجماع، فيكون من مجاز التعبير بلفظ القول عن المقول فيه"[٢].

وما ذكره العز في الآية ينبئ عن مدى عمقه وتوسعه، فقد كان أكثر دقة ممن سبقه، ولا يكون الباحث منصفا إذا لم يعترف له بإضافات بَيّنت مدى أصالته في استقصاء الآيات التي ورد فيها التضمين، والتأكيد على ذلك من كلام العرب.

وعلى سبيل المثال – لا الحصر – تناول العز التضمين في الآية السابقة في أكثر من اتجاه، وهو ما أغفله الزمخشري، ومن قبله ابن جني:

ويمكننا القول: إن حديث العز عن التضمين في الفعل كان أكثر دقة ووضوحا وأقرب إلى المنهج العلمي منه إلى سابقيه، ولا يعني هذا أن ابن جني والزمخشري هما المتبكران الأولان للتضمين، فالتضمين أشار إليه سيبويه والكسائي باعتراف ابن جني نفسه في كتاب الخصائص[٣].

٢- التضمين في الحرف:

إن وضع فعل مكان آخر أقيس وأوسع من وضع حرف مكان آخر، وعادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينها من الارتباط والاتصال، وجهل بعض النحاة ذلك، فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل

---

[١] الكشاف، ١/٢٥٧.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص٥٥.

[٣] انظر الخصائص، ج٢،ص٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضها معاني البعض فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال[١].

وذكر الزركشي أن النحويين اختلفوا في أيهما أولى، فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف، وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى، وذهب آخرون إلى العكس، والأول مذهب الكوفيين"[٢].

ولعل هذا هو السبب الذي جعل العز لا يطيل في مجاز الحرف واكتفى بذكر القليل منه على سبيل الاستشهاد فقط، ولم يتعرض للإطالة فيه للاختلاف الذي سبق.

وتضمين الحرف معنى آخر أوسع في القرآن الكريم، وهي مسألة تدور في فلك تصحيح التعلق[٣].

وقد تناول العز هذا النوع من التضمين، وجعله مقصورا على الحروف: "مَنْ" و "ما" و "الذي"[٤] وهذا النوع فيه للنحويين سبق فضل، إلا أن تناول العز له يختلف عما تناوله النحويون، فقد جعله العز مجازا، وهذا ما تفرد به عن غيره، فابن جني يجعله دليلا على شجاعة العربية كما سبق.

" فمَنْ" تتضمن معنى النفي والاستفهام والشرط، و" ما" تتضمن معنى الشرط والاستفهام ،فتحت **تضمين "مَنْ" معنى النفي:**

ذكر العز لهذا النوع خمسة أمثلة تكون فيها "مَنْ" بمعنى "لا"، منها قوله تعالى: ﴿ **ومَنْ يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾ (سورة البقرة، آية:١٣٠) ، ووجه الآية بقوله: "أي: ولا يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سفه نفسه[٥].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، ج١،ص١٧٧.

(٢) البرهان للزركشي، ٣/٣٨٨.

(٣) التأويل النحوي في القرآن الكريم، د. عبد الفتاح الحموز، ج٢،ص١٢٥٧.

(٤) عدّ العز "مَنْ" و"ما" و"الذي" حروفاً ،وهي في الأصل أسماء موصولة.

(٥) يرى الزمخشري في الآية أنها استفهام واستنكار لأن يكون في العقلاء مَنْ يرغب عن الدين الواضح الذي هو ملة إبراهيم انظر الكشاف. ١/٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز المرسل:

ذكر العز فصولا في أنواع المجاز، هي أنواع للمتعلقات المصححات للمجاز، وهو في علاقاته المصححة للمجاز يخالف البيانيين، ويسير على منهج الأصوليين ويسرف في تعدادها، ويجمع فيها بين علاقات المجاز المرسل والمجاز العقلي والاستعارة والمشاكلة.

ويظهر ذلك بوضوح منذ الفصل الأول إلى الفصل الحادي والأربعين من كتاب "الإشارة إلى الإيجاز"، ثم تحدث بعد ذلك في فصل آخر عن مجاز اللزوم، ومجاز التشبيه ومجاز المجاز، والجمع بين الحقيقة والمجاز، وهي بقية أنواع المجاز عند العز.

وقد ذكر أنواعا للمجاز المرسل تجاوزت عشرين نوعا ،يمكن جمعها تحت علاقة واحدة هي نيابة الحدث عن المحدِث ،ومن هذه الأنواع :

التجوز بلفظ العلم عن المعلوم و التجوز بلفظ المعلوم عن العلم والتجوز بلفظ القدرة على المقدور و التجوز بلفظ المقدور عن القدرة والتجوز بلفظ الإرادة عن المراد والتجوز بلفظ المراد عن الإرادة و التجوز بلفظ الأمل عن المأمول والتجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود به من ثواب أو عقاب و التجوز بلفظ العهد والعقد عن الملتزم بهما والتجوز بلفظ البشرى عن المبشر به و التجوز بلفظ القول عن المقول فيه و التجوز بلفظ النبأ عن المنبأ به و التجوز بلفظ الاسم عن المسمى و التجوز بلفظ الكلمة عن المتكلم فيه و التجوز بلفظ اليمين عن المحلوف عليه و التجوز بلفظ الحكم عن المحكوم به والتجوز بلفظ العزم عن المعزوم عليه والتجوز بلفظ الخشية عن المخشي والتجوز بلفظ الحب عن المحبوب والتجوز بلفظ الظن عن المظنون والتجوز بلفظ اليقين عن المتيقن و التجوز بلفظ الشهوة عن المشتهى والتجوز بلفظ الحاجة عن المحتاج إليه. ذكر العز لهذا الفصل شواهد كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرةوأقوال العرب.[1]وقد جمع العز هذه الأنواع كلها تحت مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق .

ومن العلاقات التي ذكرها العز ويتفق بها مع البلاغيين:

١- في التجوز بلفظ السبب عن المسبب:

---

[1] انظر الإشارة الى الإيجاز ص ٣٠-٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة التي ذكرها العز لهذا النوع قوله تعالى ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ (سورة البقرة آية:١٩٤).

قال العز: سمى عقوبة الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء.

ونلحظ هنا أنه تجوز بلفظ السبب وهو الاعتداء عن المسبب وهو العقوبة، وذلك لأن الاعتداء بالمِثْل ليس اعتداء على جهة الحقيقة، وإنما هو جزاء على الاعتداء الظالم.

وبالتوجيه السابق نفسه تجوز بلفظ " السيئة" و"المكر" عن العقوبة المتولدة عن كل منها، إلا أنّه وَجَّه الآيتين على الحقيقة والمجاز.

في قوله تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ (سورة الشورى آية:٤٠) قال: " تجوز بلفظ الجناية عن القصاص لأنه مسبب عنها، والتقدير: وجزاء جناية قبيحة عقوبة مثلها في القبح، وإن عبرت بالسيئة عما أساء لم يكن من هذا الباب لأن الاستيفاء محزن في الحقيقة كالجناية"[١].

وما يفهم من توجيه العز للآية أنها تحمل محملين أحدهما: على المجاز، والثاني على الحقيقة، فنحن إذا فسرنا السيئة الثانية بمعنى القصاص فتكون السيئة الأولى حقيقة لأنها الذنب الذي يعاقب عنه، وتكون الثانية مجازا، لأن المراد بها القصاص.

أما إذا كانت السيئة بمعنى ما يسيء، فالسيئة الثانية تكون حقيقة، لأن الجزاء مهما كانت عدالته فهو مسيء للجاني الذي عوقب بسبب إساءته.

وبهذا التحليل العميق وجه العز قوله تعالى: ﴿**ومكروا ومكر الله**﴾ (سورة آل عمران آية:٥٤) قال: تجوز بلفظ المكر عن عقوبته، لأنه مسبب لها،ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية، وهذا محقق من الله – عز وجل – باستدراجه إياهم بنعمه، مع ما أعده لهم من نقمة"[٢].

أما قوله تعالى: ﴿**ونبلوا أخباركم**﴾ (سورة محمد آية:٣١) فقد تجوز العز في الآية بلفظ الاختبار عن المعرفة الناشئة عنه، أي باسم سببها وهو " الابتلاء" قال : "

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٦.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجوز بالابتلاء عن العرفان لأنه مسبب عن الابتلاء، كأنه قيل: " ونعرف أخباركم"[١].

واستعمل العز لفظ " الجهل في المجازاة عليه، وذلك في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فَنَجْهَلُ فوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا [٢]

" الجهل الأول حقيقي والثاني مجازي عبر به عن مكافأة الجهل"[٣].

وقد جعل البلاغيون البيت من باب " المشاكلة" وكذلك الآيتين السابقتين[٤] وذلك لوقوع لفظ في صحبة آخر مشاكل له.

وقد يوجه العز المثال توجيهين بلاغيين مرة على أنه مجاز تسبيب، والثانية على أنه مجازتشبيه، وذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا"[٥] وجاء " لا يمل حتى تملوا"[٦].

" فالسآمة والملل المضافان إلينا حقيقيان، والمضافان إلى الله – تعالى – مجازيان، تجوز بهما عن قطع المزيد من ثواب الله، فهو مجاز من وجهين أحدهما: ما ذكرناه (يقصد من جهة التسبيب)، والآخر: أن يكون من مجاز التشبيه – شبه قطع المزيد من الأجر والثواب بقطع المال ما مل منه"[٧].

وقد فات العز أن يوضح التوجيه الأول في الحديث، ولعله ترك ذلك بسبب التمثيل الذي ذكره ليكون على غراره.

ويوجه الآية – أيضا – من جهة مجاز التمثيل كما يوجهها من جهة مجاز التسبيب كما في قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ (سورة البقرة آية:١٥)، قال العز: "سمى عقوبة استهزائهم استهزاء لأنها مسببة عن استهزائهم، ويحتمل أن يكون استهزاء الله من مجاز التمثيل، بمعنى أنه عاملهم معاملة المستهزئ"[٨].

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٧.

[٢] انظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص١٤٠، وبديع القرآن لابن أبي الأصبع ص٣٢٦.

[٣] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٧.

[٤] انظر : التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ،ص٣٤٧، ص٣٤٨.

[٥] الحديث في صحيح مسلم كتاب "صفات" ٢٢ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٦، ص٢٤٧، رقم ٦٠.

[٦] المصدر نفسه.

[٧] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٧.

[٨] الإشارة إلى الإيجاز، ص٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والظاهر أن الاحتمال الثاني غير صحيح، لأن الآية أقرب إلى الاحتمال الأول (مجاز التسبيب)، وذلك لأن جمهور العلماء نبهوا على أن الآية من تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا، والمراد تحقير شأنهم، وازدراء أمرهم[١].

ومجمل القول أن العز في هذا الفصل كان مصيبا في أمثلته التي ذكرها، وإن جاءت على نهج البلاغيين، وجعلوها من المجاز المرسل، وأمثلة العز هي نفسها أمثلة البلاغيين.

ويدل على ذلك أن ما ذكر للعز من أمثلة هذا النوع، تكررت عند أحد علماء البيان، الذي له الفضل الأعظم في صياغة علوم البلاغة،و هو الخطيب القزويني،فأمثلته مأخوذة من العز بنصها الكامل، دون إشارة إليه، وأرجح أن يكون صاحب الإيضاح قد نقل عن العز، لأنه سابق عليه، وقد كرر عنه الأخذ في غير موضع مما سيأتي عنه الحديث.

وهذا دليل واضح على أن العز صاحب منهج ومذهب في البلاغة.

٢- في التجوز بلفظ المسبب عن السبب: والمجاز يحدث هنا من تسمية السبب باسم المسبب.

ومن أمثلة العز على هذا النوع قوله تعالى: **﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله﴾** (سورة الحج آية:٦٠). فعاقب حقيقة، وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب، وكقول العرب كما تدين تدان، معناه كما تفعل تجزى، لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجناية، لأنه مسبب عنها.[٢]

ويفهم من كلام العز أن العرب تتجوز بلفظ "الدين" عن المجازاة والمكافأة في العمل الذي سببه المجازاة والمكافأة كذلك، فالفعل الثاني (تدان) حقيقة في معناه، لأن المراد منه المجازاة على الفعل، والفعل الأول "تدين" يراد به العمل الذي وقعت بسببه المجازاة فكان مجازا من إطلاق اسم المسبب وهو المجازاة عن السبب وهو العمل.

---

[١] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج١، ص١٧٦.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز،ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن العز قصر المثل السابق على الجناية، وكلامه يحتاج إلى تدقيق، فالمثل يضرب لأي عمل يدان به المرء سواء أكان خيرا أم شرا، ولا يحق للعز أن يقصره على الجناية (الشر) فقط، فيكون للمكافأة أيضا، كما هو للجناية.

وذكر العز أيضا قول الشاعر[1]

ولم يبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا.

معناه: جزيناهم بما فعلوا، فدنّاهم حقيقة، ودانوا مجازا".

وكذلك قوله تعالى: ﴿يذهب عنكم رجز الشيطان﴾ (سورة الأنفال آية:١١) يستشهد العز بقول أبي عبيدة في توجيه الآية فقال: " الرجز والرجس وهما العذاب الشديد".[2]

وبين الحين والآخر تظهر شخصية العز الأصولية من خلال ما يختاره من أمثلة وتوجيهه للآيات، مما يدل على أنه أصولي متعمق في الجوانب الفقهية، وهو يوجه المجاز وفق مباحث الأصوليين وفهمهم للآيات القرآنية، وهو لذلك لا يحمل المجاز إلا في الأمور الغالبة، ولا يحمله على أندر أحواله.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن﴾ (سورة النساء، آية:٢٥)، أي: والتزموا لهن مهورهن.

ثم يؤكد العز ما ذهب إليه فيقول " ولا يدل قوله" وانكحوهن" على صحة النكاح بغير ولي، لأنه لم يذكر المأذون له، فيحتمل أن يكون المراد به الوكيل، ويحتمل أن يكون المراد به الأمة، وحمله على الوكيل أولى، لأن الغالب في الأنكحة أن يتولاها الرجال دون النساء، فيجب الحمل على الغالب، لأن مباشرة المرأة إنكاح نفسها في غاية الندرة، فلا يجوز حمل الكلام عليه[2].

ولا يتوقف العز في توجيه المجاز حسب التوجيه الفقهي فقط، بل يوجه معانيه حسب ما تحتمله اللغة، وما هو معهود لدى فصحاء العرب، فيقول: "إذ لا يوجد لمثل هذا نظير في كلام العرب، من أنهم إذا أرادوا بيان شيء، والإرشاد إلى مصلحته أن يبينوا أندر أحواله مع الاستغناء عنه، ويهملوا الأغلب، مع مسيس الحاجة إليه[3].

---

[1] البيت منسوب إلى يزيد بن الصعق الكلابي انظر الكامل ١٩٢/١، وشرح ديوان الحماسة،٦/١.

[2] الاشارة إلى الإيجاز، ص٤١.

[3] المصدر السابق ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة التي تبرز نزعته الأصولية توجيهه لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أيما إمرأة نكحت بغير إذن وليها..."[١].

وواضح من خلال تناول العز للمجاز اللغوي والشرعي أنه ذو باع طويلة حينما يوجه المجاز في نطاق تخصصه، فهو الفقيه المتعمق في علوم الشريعة الذي يهتم باستقصاء الأمثلة، وتحليلها بمنهج علمي صارم .

غير أن شيئا من التداخل يعتور حديثه عن المجاز إذ يقفز من موضوع لآخر، ويبتعد عن عنوانه، وإن كان ذلك لا يغض من قيمة حديثه عن المجاز اللغوي والشرعي.

٣- في نسبة الفعل إلى سببه :

ذكر العز لهذا الفصل ما يقرب من أربعين مثالا منها قوله تعالى: ﴿**وإن يهلكون إلا أنفسهم**﴾ (سورة الأنعام آية:٢٦) نسب الإهلاك إليهم لما تسببوا إليه بنهيهم ونأيهم، لأن المهلك في الآخرة هو الله - عز وجل - على الحقيقة، وإن عبرت بالاهلاك عن نأيهم ونهيهم كان من مجاز تسمية المسبب باسم السبب، لأن نهيهم ونأيهم هما السبب في إهلاكهم، وقوله تعالى: ﴿**قوا أنفسكم**﴾ (سورة التحريم آية:٦) الواقي على الحقيقة هو الله، ونسب الوقاية إليهم لتسببهم إليها بالطاعة والإيمان، وأما وقاية الأهل فمن مجاز النسبة إلى سبب السبب، لأن تقوى الأهل سبب لوقاية النار، وأمرهم بالتقوى سبب لتقواهم، فأضيف الوقاية إلى سبب سببها وهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وذلك جمع بين مجازين، إلا أن يقدر، وقوا أهليكم نارا، فلا يكون جمعا بين مجازين،بل يكون الأول من مجاز النسبة إلى السبب، والثاني من مجاز النسبة إلى سبب السبب"[٢].

وهذا التوجيه من العز يدل على شدة اهتمامه بعلاقة السببية لدرجة أنه يولد منها عدة علاقات منها مجاز النسبة إلى السبب، وإلى سبب السبب وإلى سبب سبب السبب كما سيأتي تفصيله.

٤- في نسبة الفعل إلى سبب سببه :

---

[١] رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٧، ص١٢٥،ص١٢٦.

[٢] المصدر السابق ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة هذا النوع عند العز قوله تعالى: ﴿**قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار**﴾ (سورة ص٦١). نسبوا صلي النار على سبب سببه، لأن الكبراء أمروهم فامتثلوه، والمقدم على الحقيقة هو الله عز وجل، وسببه كفرهم، وسبب كفرهم، أمر رؤسائهم إياهم بالكفر"[١].

وقد يوجه العز الآية أكثر من توجيه، ويربطها بأكثر من نوع من المجاز، ومثال ذلك آية "قوا أنفسكم" وقد سبق عرضها، وقوله تعالى: ﴿**لأحتنكن ذريته**﴾ (سورة الإسراء آية:٦٢)، فإن أراد بالاحتناك عذاب الآخرة، وإهلاكها، فقد نسب، الاحتناك إلى سبب سببه، وإن أراد الإيقاع في المعاصي فقد تجوز عن المعاصي بالاحتناك لأنها سبب له، فيكون من مجاز تسمية السبب باسم المسبب، لأن الإهلاك سبب عن عصيانهم، وعصيانهم سبب عن أمر الشيطان وتسويله، أو يجعل ذلك من مجاز التشبيه، من قولك: احتنكت الدابة إذا أجررتها بما تجعله في حنكها، شبه سوقه إياهم إلى المعاصي بتزيينها بالحبل الذي يجعل في حنك الدابة لتجر به"[٢].

فالمجاز في الآية جعله العز في:

أ- سبب السبب.

ب- مجاز تسمية السبب باسم المسبب.

جـ- مجاز التشبيه (الاستعارة).

٥- في نسبة الفعل إلى سبب سببه :

ذكر العز لهذا الفصل مثالا واحدا قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني**﴾ (سورة التوبة آية:٤٩)، نسب الفتنة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم- ، لأنه إذا أمره بالخروج كان ذلك سببا في خروجه، وكان خروجه سببا لرؤيته بنات بني الأصفر، وكانت رؤيته إياهن سببا لافتتانه بهن.[٣]

وتفرد العز بهذه العلاقة، وتوسع في إبراز نسبة التجوز في الآية وهذا يدل على عمق فهمه وتحليله الدقيق للوصول إلى المجاز في الآية.

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٤٦.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص٤٦.

[٣] الإشارة إلى الإيجاز،ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- في نسبة الفعل إلى الآمر به :

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿**فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾ (سورة النور آية:٤) إن كان هذا أمرا للولاة فهو أمر بالأمر بإقامة الحدود، وإن كان أمراً لمن يستوفي الحقوق ويباشرها فهو حقيقة.

وأما قوله تعالى: ﴿**ونادى فرعون في قومه**﴾ (سورة الزخرف آية:٥١) أي: وأمر من ينادي في قومه، وكذلك قوله تعالى: ﴿**يذبح أبناءهم**﴾ (سورة القصص آية:٤) أي: أمر بتذبيحهم، وقوله تعالى ﴿ حتى إذا جعله نارا﴾ أي أمر بجعله نارا".

والملاحظ أن الأمر عند العز قد يكون حقيقة، وقد يكون مجازا، حقيقة إن كان أمرا لمن يستوفي الحقوق، ومجازا في نسبة الفعل إلى الآمر به على طريقة الأصوليين، فإن الأمر قد يكون كذلك مجازا من نسبة فعل البعض إلى الكل، ومثال ذلك عنده، قوله تعالى: ﴿**يذبّحون أبناءكم**﴾ (سورة البقرة آية:٤٩) وقوله: ﴿**يقتلون أبناءكم**﴾ (سورة الأعراف آية:١٤١) فمن مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به،وإن حمل الذبح والقتل على المباشرة كان من مجاز نسبة فعل البعض إلى الكل[١].

٧- في نسبة الفعل إلى الآذن فيه :

ومنه قوله تعالى : ﴿**وأخذن منكم ميثاقا غليظا**﴾ (سورة النساء آية:٢١) ذكر العز في المثال أن الآخذ على الحقيقة هو الولي، والمرآة أذنت فيه، وهذا أخذ مجازي، ونسبته إليهن مجازية.

وقوله تعالى: ﴿**فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن**﴾ (سورة البقرة آية: ٢٣٢)، وقوله تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**﴾ (سورة البقرة آية:٢٣٠) قال العز: نسب النكاح إليهن لإذنهن[٢].

وهذا القول صحيح على قول مَن قال مِن الأصوليين أن المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها كما أشار إلى ذلك في الفصل السادس والعشرين -- وأما على قول من قال إنها تنكح نفسها فيكون حقيقة، غير أن العز قد حسم هذه المسألة عندما ذكر أن الكلام يحمل على الغالب، ولا يحمل على النادر.

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز، ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ على العز تفتيته لعلاقات التجوز، فالفصول الخمسة (٢٧،٢٨،٢٩،٣٠،٣١)، كان للعز أن يلم شملها تحت سقف عنوان واحد وليكن إطلاق اسم الفعل على غير فاعله، ثم يضم الأقسام الأخرى تحت هذا العنوان كالسبب فيه، والأذن والأمر فيه، أو يدرجها ضمن المجاز العقلي، أو مجاز النسبة على حد تسميته لهذا النوع.

٨- في الإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعلق ببعضهم:

ذكر العز أمثلة كثيرة لهذا النوع منها قوله تعالى: **﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾** (سورة البقرة آية:٩٢) معناه: ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم، فإن جميع الخلف والسلف، لم يتخذوا العجل إلها، وإنما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس:

فإن تقتلونا نقتلكم .....[١].

معناه: وإن تقتلوا بعضنا نقتلكم، إذ لا يتصور أن يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل"[٢].

والبعضية في هذا الفصل بعض من مجموع، وفرد من مجموع، وقد جعله العز من مجاز الحذف، ورسم لهذا النوع قاعدة يتفرع عنها المجاز فقال:"فإن كان البعض واحدا كان التقدير: إذا فعل أحدكم كقوله تعالى: **﴿وإذ قتلتم نفسا﴾** (سورة البقرة آية: ٧٢)، أصله: وإذ قتل أحدكم نفسا، وإن كان البعض أكثر من واحد كان التقدير: وإذ فعل بعضكم كقوله تعالى: **﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾** (سورة البقرة آية:٥٥)، وكان القائلون سبعين"[٣]

ويتعقب العز في هذا الفصل آراء العلماء بالرد المفحم، ولكنه لا يذكرهم، بأسمائهم، ويتضح ذلك في قوله: ومن زعم أنه نسب الفعل إليهم لأنهم رضوا به، لا يستقيم قوله، لأننا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى بقتل النفس، ولا باتخاذ العجل، ولا بقولهم **﴿لن نصبر على طعام واحد﴾** (سورة البقرة آية:٦١).

كذلك فإن نسبة الفعل إلى الرضى به مجاز، وإلى فاعله حقيقة، فإذا حمل عليهما كان حملا على حقيقة غالبة، ومجاز مغلوب، وذلك لا يجوز.

---

[١] الديوان ص٨٥،تكملة البيت : "وإن تقصدوا لدم نقصد "

[٢] الإشارة إلى الإيجاز السابق، ص٤٧.

[٣] المصدر نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر أمثلة أخرى طبق عليها قاعدته منها قوله تعالى: ﴿**وإذ نجيناكم من آل فرعون**﴾ (سورة البقرة آية: ٤٩) .

وإنما نجي منه أسلافهم، وقوله تعالى: ﴿ **ويذبحون أبناءكم**﴾ (سورة ابراهيم آية:٦) معناه: ويذبحون بعض أبنائكم.

وختم العز الفصل بقوله: ويجوز أن يكون الخطاب مخصوصا بمن فعل ذلك من غير حذف، ويجوز أن يكون الخطاب للجميع على حذف المضاف[١].

والعز يؤكد على القاعدة دائما في أول الفصل وآخره، ويفهم من كلامه أن هذا النوع إذا خلا الكلام فيه من الحذف يكون مجاز نسبة (مجازاً عقلياً).

أما إذا قدر المحذوف فلا يدخل ضمن مجاز النسّبة، وإنما يكون من مجاز الحذف.

٩- مجاز النسبة: (المجاز العقلي):

وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأمثلة التي جعلها العز من مجاز النسبة تدخل ضمن المجاز العقلي عند البلاغيين، لأن التجوز فيها في الإسناد لا في الألفاظ، وهذا النوع سمّاه عبد القاهر بالمجاز الحكمي أو الإسنادي، وسمّاه السكاكي والخطيب بالمجاز العقلي وأطلق عليه العلوي " المجاز في التركيب"[٢].

فالآية السابقة – على سبيل المثال – ﴿ **قوا أنفسكم**﴾ (سورة التحريم آية:٦)، لا شك أن المجاز فيها ليس في الفعل (قِ)، ولا الفاعل (و) حتى يكون مجازا لغويا، وإنما المجاز في الإسناد، أو النسبة- على حسب تعبير العز – أي نسبة الفعل إلى فاعله، فنسبة الوقاية، إذن – ليست على حقيقتها، لأنهم لا يستطيعون وقاية أنفسهم من النار، ولكن لما كانوا هم سببا في الوقاية بفعل الطاعات، واجتناب المنهيات صح إسناد الفعل إليهم لهذه العلاقة وهي السببية.

وقد حلل العز بعض صور مجاز النسبة (المجاز العقلي) تحليلا جمع فيه بين إيجاز العبارة، ودقتها، وصحة التوجيه، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى: ﴿**ذلكم ظنكم**

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز ،ص٤٨.

[٢] انظر: أسرار البلاغة ٣١٦، والإيضاح ٥٦ وما بعدها، والطراز ج١، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ (فصلت آيـــة:٢٣) قـــال العـــز: نسـب الإرداء إلـــى الظـــن كونه سببا فيه، والمردى حقيقة هو الله عـــز وجـــل"[١].

فالإسناد الحقيقي في الآية إلى الله وعكس الأمر في الآية: واســـند إلـــى الظـــن لأنـــه سبب فيه، فالإسناد في الآية للسبب، وهو فـــي الواقـــع لله.

ولا يخفى على ذي عقل أن في إسناد الإرداء إلى الظن تنويـــها بقبحـــه حتـــى كأنـــه أحدث الإرداء بنفســـه.

والعز غواص ماهر في تحليلات صور هذا النـــوع مـــن المجـــاز (مجـــاز النســـبة) يجري وراء المعاني الدقيقة، ففـــي قولـــه تعـــالى: **﴿ينزع عنـــهما لباســـهما﴾** (ســـورة الأعراف آيـــة: ٢٧).

يقول: " المخرج والنازع حقيقـــة الله عـــز وجـــل – وســـبب ذلـــك أكـــل الشـــجرة، وسبب أكل الشجرة وسواس الشيطان ومقاسمته على أنـــه مـــن النـــاصحين"[٢].

وفي ذلك إيحاء بالتحذير الشديد من ذلـــك الملعـــون الـــذي أخـــرج آدم وحـــواء مـــن الجنة بنفسه، وفي مقدوره لو اســـتجبنا لوسوســـته أن يحرمنـــا مـــن دخـــول الجنـــة يـــوم الدين.

وهذا التحليل الدقيق يذكره البلاغيـــون فـــي كتبـــهم[٣] نقـــلا عـــن العـــز دون ذكـــر لفضل هذا الرجل – رحمـــــه الله-.

ويفرق العز بين نوعين من السبب المسند إليهما في مجـــاز النســـبة، ويظـــهر ذلـــك في قوله تعالى : **﴿يذبح أبنـــاءهم﴾** (ســـورة القصـــص آيـــة:٤) أي يـــأمر بتذبيحـــهم[٤] ونسبة الفعل إلى فرعون لكونه السبب الآمر به، فالصحيح أنـــه لـــم يباشـــر الذبـــح بيـــده، وإنما الذين ذبحوا هم شرطته ورجاله، فهو سبب آمر ولولا أمـــره مـــا حـــدث الذبـــح.

وسر الإسناد إلى السبب الآمر (فرعون) هو تحديـــد مســـؤوليته أمـــام الله عـــن كـــل نفس قتلت بأمره ظلما وعدوانـــا.

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز ص٤٤.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٥.

[٣] انظر الإيضاح للقزويني، ص٥٧.

[٤] المصدر نفسه، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قوله تعالى: ﴿**فهل نجعل لك خَرْجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا**﴾ (سورة الكهف آية:٩٤) من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر، إذ لا يبني السد بنفسه، وقوله تعالى: ﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾ (سورة الكهف آية:٩٦)، ﴿**أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾ (سورة الكهف آية:٩٤) أي: آمر بجعل ذلك[١].

وفرق بين أمر، وأمر، بين ملك صالح وهو ذو القرنين، وجبار طاغية في الأرض هو فرعون.

وقد ينسب الفعل إليه لكونه السبب الآذن فيه كما سبق في قوله تعالى: ﴿**وأخذن منكم ميثاقا غليظا**﴾ (سورة النساء آية:٢١) [٢]. ونَوَّع العز السبب المسند إليه في مجاز النسبة.

١٠- في التعبير بلفظ البعض عن الكل:

ويحصل المجاز في هذا الفصل من تسمية الكل باسم جزئه والعز في هذا الفصل يوافق البلاغيين في تمثيلاتهم، غير أنه يكثر من الأمثلة التي تتناسب وثقافته الأصولية وقد ذكر لهذا النوع ثلاثة عشر قسما يضم القسم الأول منها سبعة أنواع.

أ- التعبير عن الصلاة ببعض ما شرع فيها من الواجبات والمندوبات وله أمثلة: التعبير عن الصلاة بالقيام كقوله تعالى : ﴿**قم الليل إلا قليلا**﴾ (سورة المزمل آية:٢) أي صل الليل إلا قليلا، وقوله تعالى: ﴿**لاتقم فيه أبدا**﴾ (سورة التوبة، الآية:١٠٨) وقوله صلى الله عليه وسلم: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[٣]. معناه: مَنْ صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[٤]

والعز في هذه الأمثلة يتفق مع البلاغيين ويسير على نهجهم [٥]

ب- التعبير عن الصلاة بالركوع في قوله تعالى: ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾ (سورة البقرة، آية:٤٣)، والتعبير عنها بالسجود كقوله تعالى : ﴿**واسجد واقترب**﴾ (سورة العلق،آية:١٩) والتعبير عنها بالقراءة كقوله تعالى:﴿ **وقرآن الفجر**﴾ (سورة الإسراء: آية:٧٨)، والتعبير عنها بالتسبيح كقوله تعالى: ﴿**وسبحه ليلا**

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز،ص٤٦.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٧.

[٣] رواه البخاري ج١،ص٩٢، وصحيح مسلم، ج٢،ص٣٩، والنسائي، ج٤،ص١٥٥.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز، ص٤٨.

[٥] الإيضاح في علوم البلاغة،ص٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طويلا﴾ سورة الإنسان آية:٢٦) والتعبير عنها بالذكر كقوله تعالى: **﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾** (سورة الإنسان، آية:٢٥).

وذكر العز أمثلة ظاهرة واضحة في التعبير بلفظ الجزء عن الكل لا غموض فيها ولا لبس.

ومن ذلك: التعبير بالرأس عن الجملة كقولهم: عندي عشرون رأسا من البقر، والتعبير بالذقن عن الوجه كقوله تعالى: **﴿يخرون للأذقان سجدا﴾** (سورة الإسراء، آية:١٠٧) ، والتعبير بالأنف عن الوجه في قوله: **﴿سنسمه على الخرطوم﴾** (سورة القلم، آية:١٦)، والتعبير بالرقبة عن الجملة في قوله: **﴿فتحرير رقبة﴾** (سورة النساء،آية:٩٢)، وقوله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** (سورة البقرة، آية:١٩٥) تجوز باليدين عن الجملة والباء زائدة. وهكذا يبرز العز أمثلة من القرآن تدل على فهمه لأسلوبه وبلاغته، وهو يوجه المثال أحيانا حسب مجاز الحذف كما في قوله تعالى **﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق﴾** (سورة الحج، آية: ٣٣) قال: فإنه تجوز بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط به، ويجوز أن يكون من مجاز الحذف وتقديره: ثم محل نحرها إلى حرم البيت العتيق[١].

١١- التعبير بلفظ الكل عن البعض:

والمجاز في هذا الفصل حاصل من تسمية الجزء باسم الكل، نحو قوله تعالى: **﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾** (سورة البقرة آية:١٩) قال العز: " وإنما جعلوا بعض أناملهم، وقوله تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾** (سورة المنافقون آية:٤)، " ومعلوم أنه لم ير جملتهم، وإنما رأى وجوههم، وما يبدو منهم غالبا"[٢].

" ومنه قولك: خرجت من المسجد، وقطعت السارق، إنما قطعت يده، ولمست الركن وإنما لمست بعضه"[٣].

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز، ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير العز بهذا إلى إمكان الجمع بين المجاز اللغوي، والمجاز العقلي في جملة واحدة، وقد تكلم البلاغيون على الجمع بينهما[١].

وكما تحدث عن المجاز العقلي (النسبة) في الخبر، تحدث عنه في الإنشاء دون التصريح بذلك، من خلال ما ذكره من أمثلة.

ويمكن القول من خلال هذه النتائج عن مجاز النسبة (المجاز العقلي) أن البلاغيين الذي أتوا بعد العز كانوا عالة عليه في هذا الموضوع، في التمثيل من القرآن الكريم، وذلك جعلني أتردد في القول: إن العز سار في ذلك على نهج البلاغيين ،ويحق عندئذ السؤال: مَنْ سار على منهج مَن؟ وإذا كان عبد القاهر هو أول من أشار إلى هذا النوع وابتكره؛ فإن العز أول من طبقه على القرآن الكريم، ولم تكن تشغله مسألة التقسيمات، ولا التعريفات، ولكن كان شغله منصبا على تحديده في القرآن دون تسمية المصطلح.

ومعظم صور المجاز العقلي التي ذكرها الخطيب والسعد التفتازاني مأخوذة نصا عن العز[٢].

وهذا لا يمنع من القول: بأن العز قارئ جيد لكشاف الزمخشري، حيث يخضع تأويلات وتوجيهات الزمخشري لبعض الآيات إلى ما ابتكره من علاقات في التجوز.

١٣- في التجوز بوصف الكل بصفة البعض:

ومنه قوله تعالى : ﴿**إنَّا منكم وجلون**﴾ (سورة الحجر آية:٥٢)، " والوجل: الخوف، ومحله القلب، ويدل عليه قوله: ﴿**وبَشِّر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلتْ قلوبهم**﴾ (سورة الحج آية: ٣٤-٣٥)، وقوله تعالى : ﴿**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا**﴾ (سورة فصلت آية:٣-٤) قال: " وصف القرآن بالبشارة، والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر، والنهي، والحدود، والحلال والحرام، وسائر الأحكام، ونسبة البشارة والنذارة إليه مجازية أيضا.

---

[١] انظر: المطول على التلخيص للسعد، ص٦٢. والطراز للعلوي، ج٣،ص٢٥٧.

[٢] انظر المطول ص٦٢،ص٦٣، والإيضاح ، ص٥٧-٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله: زيد عالم، وجاهل، وقائع، وطامع، وراهب، وخائف وآمن، ومفكر، ومتذكر، ولين، فهذه كلها من أوصاف القلوب، وقد وصفت بها الجملة" [١].

في كلام العز – في هذه الأمثلة – خروج على طبيعة اللغة التي يتبادر فيها المعنى إلى الذهن دون الحاجة إلى تأويلها مجازاً، وهو ما اتفق عليه جمهور البلاغيين.

١٤- في التجوز بلفظ الفعل عن مقاربته ومشارفته:

ذكر العز لهذا النوع أمثلة منها قوله تعالى: ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف**﴾ (سورة البقرة،آية:٢٣١)، معناه: وإذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء أجل عدتهن فشارفنه، فأمسكوهن بمعروف[٢] .

وقد أشار الزمخشري إلى هذا النوع وسماه: مجاز المقاربة والمداناة[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء**﴾. (سورة الكهف، آية:٩٨)

معناه: فإذا دنا مجيء موعود ربي جعله دكاء.

١٥- في تسمية الشيء بما كان عليه:

من أمثلته تسمية الشيء بما كان عليه في الماضي، ثم التحول عنه، كقوله تعالى: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم**﴾ (سورة النساء آية:٢) معناه عند العز: " الذين كانوا يتامى إذ لا يُتْم بعد البلوغ"[٤].

والواضح من كلام العز أن المجاز يقع في كلمة " اليتامى" لأن هذا الاسم موضوع لمن فقد أباه، ولم يبلغ سن الرشد، وتؤكد هذه الآية بلوغهم سن الرشد لأنها تنص على تسليمهم الأموال، وهي لا تسلم لهم إلا بعد بلوغهم سن الرشد، وبهذا تنصرف عنهم صفة "اليُتْم" فإذا سموا بها بعد ذلك كانت التسمية من قبيل المجاز.

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥١.

(٣) انظر الكشاف،١/٣٠٥.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز، ص٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر العز أمثلة أخرى لهذا النوع على طريقة الأصوليين نحو قوله تعالى: **﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾** (سورة البقرة آية:٢٣٢)، معناه: الذين كانوا أزواجهن، ومن ذلك تسمية السارق، والزاني، والكافر، والمؤمن، والطائع، والعاصي بما كانوا ملابسين له ..."[١].

١٦- في تسمية الشيء بما يؤول إليه :

هو ما يكون الشيء عليه في المستقبل، كقوله تعالى: **﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾** (سورة البقرة آية:١٧٨) أي: في قتل القتلى، معناه: الذين يؤول أمرهم إلى القتل، أو الذين يشارفون على القتل، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

" من قتل قتيلا فله سلبه"[٢] فإن القتيل لا يقتل بل سمي بذلك لأنه يؤول إليه وقوله تعالى : **﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾** (سورة البقرة آية:٢٣٠) سماه زوجا لأن العقد يؤول إلى زوجته، لأنها لا تنكحه في حال كونه زوجا.

ويقدم العز هذه الأمثلة التي ذكرها الأصوليون، على الأمثلة التي درسها البلاغيون.

ومن الأمثلة التي أوردها على نهج البلاغيين والأصوليين معا:

﴿ إني أراني أعصر خمرا﴾ (سورة يوسف،آية:٣٦)، أي: أعصر عنبا: فإن الخمر لا يعصر فتجوز بالخمر عن العنب، لأن خمره يؤول إليه.[٣]

١٧- في المخاطبة والإخبار المبنيين على زعم الخصم دون ما في نفس الأمر :

من أمثلته: قوله تعالى: **﴿أين شركائي﴾** (سورة النحل آية:٢٧) وليس هذا إثباتا للشركاء، بل منزل على قول الخصم، ومعناه: أين شركائي بزعمهم" [٤].

وقوله تعالى: **﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾** (سورة الشعراء آية:٢٧) قال العز:

---

[١] المصدر نفسه،ص٥٢.

[٢] رواه البخاري ج٦، ص٢٤٧، ومسلم ج١٢، ص٥٨.

[٣] انظر الإيضاح للقزويني، ص٣١٦، وكذلك الفصل الخاص بالأصوليين.

[٤] المصدر نفسه،ص٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" لم يقر فرعون برسالة موسى بل المعنى بزعمهم أنه رسول"[١].

يرى العز أن المجاز غير ظاهر في هذه الآية وذلك لأنه لم يكشف عن العلاقة المصححة للمجاز ومن أي نوع كان.

وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ (سورة الحجر آية:٦) قال العز: " ليس هذا إقرارا لتنزيل الذكر، وإنما المعنى: يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر بزعمه إنك لمجنون" [٢].

جعل العز الزعم هنا على طريق التهكم، وأدخله في باب المجاز ثم تحدث مرة أخرى عن المجاز في هذا الفصل وصرح أنه على طريق الاستعارة التهكمية.

نحو قوله تعالى: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ (سورّة هود آية:٨٧)، قال العز: أي بزعمك واعتقادك"[٣] وكقوله تعالى: ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾ (سورة الدخان، آية:٤٩).

قال: " أي في نفسك واعتقادك.

وأخذ يبين نوعية الأمثلة التي ذكرها في هذا الفصل، ثم انتقل إلى أمر التهديد وجعله نظيرا للاستعارة التهكمية.

قال العز: هذا كله على طريق التهكم والاستهزاء اللذين يراد بهما ضد المنطوق به، فيكنى بالند والشريك عن نفيهما، وبالرسول عن المفترى الرسالة، وكذلك بالذي نزل عليه الذكر، ويكنى بالحليم الرشيد عن السفيه الجاهل، وبالعزيز الكريم عن الذليل المهان.

ونظير هذا أمر التهديد في مثل قوله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ (فصلت آية:٤٠) وفي مثل قوله تعالى : ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ (سورة الزمر آية: ١٥).[٤]

---

[١] المصدر نفسه، ص٥٣.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٥.

[٣] قال الزمخشري في الآية: أرادوا نسبته إلى غاية السفه، أي قالوا ذلك على سبيل التهكم. فعكسوا ليتهكموا به، كما يتهكم بالشحيح الذي لا يطفر بخير، فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك انظر: الكشاف ٣٩٦/٢ وانظر إشارة ص ٥٤

[٤] والمراد لهذا الأمر الوارد على صحة التخيير: المبالغة في الخذلان والتحلية، انظر الكشاف، ١٢١/٤ وانظر إشارة ص٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مثل قوله تعالى: ﴿**واستفزز مَن استطعتَ منهم بصوتك وأجْلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدْهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**﴾ (سورة الإسراءآية:٦٤) .

فإن المراد بهذه الألفاظ ضد ما أشعر به الأمر من طلب الفعل، فعبر بطلب الفعل عن طلب الترك" [١].

ثم أسهب العز في بيان أنواع التهكمات، وذكر أنها كثيرة، وأورد لها أمثلة من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿**هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله**﴾ (سورة المائدة آية:٦٠) قال العز أي: عقوبة عند الله، فإن الثواب هو الجزاء بالخير، فإذا أطلق لفظ الثواب على الشر كان تهكما واستهزاء.

منها قول عمرو بن كلثوم:

قَرَّبْنَاكم فَعَجَّلْنا قِرَاكم ... قبيلَ الصبح مِرْدَاةً طَحُونا[٢]

وقول الشاعر:

.....تحية بينهم ضرب وجيع[٣]

ومن كلام العرب: عتابك السيف[٤].

وذكر العز نوعا آخر من التهكم تكون فيه اللفظة تارة على الحقيقة وتارة على المجاز، وذكر له أمثلة منها قوله تعالى: ﴿**وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه**﴾ (سورة الكهف آية: ٢٩).

وكذلك كلمة البشارة، فقد تجوز بها على طريقة التهكم، واستعملها على الحقيقة فكانت مجازاً كما في قوله تعالى: ﴿**فبَشّرهم بعذاب أليم**﴾ (سورة آل عمران

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز. ص٥٤.

[٢] ، شرح المعلقات السبع للزوزني، ص١٧٢.

[٣] البيت للشاعر: عمرو بن معد يكرب في الكتاب لسيبويه ج١، ص٣٦٥، وصدر البيت: وخيل قد دلفت لها بخيل، وعجزه في المفتاح ص٣٠٦. والإيضاح ص٣٢٧، وديوانه ١٣٠.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آية:٢١)[١]وكانت على سبيل الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿**إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما**﴾(سورة الإسراء آية:٩-١٠).

قال العز: " البشارة باقية على حقيقتها، لأن الله بشر المؤمنين بأنه يأجرهم أجرا كبيرا، وبأنه يعذب أعداءه عذابا أليما، ومن أُخبِرَ بعقوبة عدوه، وإهانته، كان ذلك بشارة له على الحقيقة"[٢]

مجاز الملازمة:

ذكر العز لهذا المجاز ستة عشر نوعا، منها الكنايات.

وتحدث في هذا الفصل عن تلازم المعنى بين اللّفظ الحقيقي، ومعناه، اللازم له. أي أن المجاز يبنى على الانتقال من الملزوم إلى اللازم، وهذا يكثر في بعض أنواع علاقات المجاز المرسل، ويبدو أكثر في الاستعارة، لأن وجه الشبه هو أخص أوصاف المشبه به، واللازم قد يكون بحصول أحدهما في الآخر كالحال والمحل، أو سببية أحدهما للآخر[٣]. أو مجاورتهما، أو يكون أحدهما شرطا للآخر، أو يكون أحدهم جزاء للآخر.

فالعلاقة الملزومية من علاقات المجاز المرسل عند البلاغيين، ويحصل المجاز من تسمية اللازم باسم ملزومه.

ومن أنواعه:

١- التعبير بالإذن عن المشيئة:

ذكر العز السبب في ذلك بقوله: " لأن الغالب أن الإذن في الشيء لا يقع إلا بمشيئة الآذن واختياره، والملازمة الغالبة مصححة (موجهة) للمجاز"[٤].

---

[١] أي: أنذرهم، استعيرت البشارة التي هي الإخبار بما يظهر سرور المخبر به للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم.انظر المطول، ص٣٦٥.

[٢] الإشارة إلى الايجاز، ص٥٤. وانظر الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز، ص١٥٩-١٦٢.

[٣] انظر المطول على التلخيص، ص٣٥٦،٣٥٧.

[٤] انظر الإشارة،ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، آية:١٤٥)، أي: إلا بمشيئة الله، ويجوز في هذا أن يراد بالإذن أمر التكوين، والمعنى: وما كان لنفس أن تموت إلا بقول الله: موتي.

وذلك للدلالة على أنه لا ينبغي لأحد أن يُقْدِم على قتل نفس، ويدعي أن ذلك وقع بإرادة الله ومشيئته، فيكثر القتل وتحدث الفوضى، ولكن لا بد من قتل النفس بالنفس قصاصا.

وأشار العز في هذا النوع إلى ما عرف عند البلاغيين بالمجاز المركب أو الاستعارة التمثيلية[١].

٢- التعبير بالإذن عن التيسير والتسهيل:

من أمثلته قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ (سورة البقرة آية:٢٢١) أي بتسهيله وتيسيره إذ لا يحسن أن يقال دعوته بإذني .. ولا قمت وقعدت بإذني، وهذا قول الزمخشري[٢] ويجوز أن يراد بالإذن هنا الأمر، أي: يدعوكم إلى الجنة والمغفرة بأمره إياكم بطاعته، وكلاهما من مجاز الملازمة[٣].

والعز هنا يصرح بالأخذ عن الزمخشري، وهذه هي المرة الأولى التي يصرح فيها بالأخذ عنه، ويرجح ما ذهب إليه، ونصه صراحة بنقله عنه يدل على أنه متأثر به وعارض ماهر لتوجيهات الزمخشري، فهو يتفق معه – كما سبق – في كثير من التوجيهات دون الاصطلاح المجازي.

٣- تسمية المسافر بابن السبيل:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وابن السبيل﴾ (سورة الأنفال، آية:٤١) وذكر العز أنه سُمّيَ بذلك لملازمته الطريق، كما يلازم الولد أمه.

٤- التعبير بالمحل عن الحال لما بينهما من الملازمة الغالبة:

كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء، والعين عن الإدراك، والصدر عن القلب، وبالقلب عن العقل، وبالأفواه عن الألسن، والألسن عن اللغات، وبالقرية عن قاطنيها،

---

[١] وهي النمط المركب المستعمل في معنى شبيه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل،وطرفا هذه الاستعارة لا بد أن يكونا هيئتين منتزعتين من أمرين أو أمور، وهذه الاستعارة لا تجري في المفردات، وإنما تجري في المركبات. انظر الإيضاح ص٣٤٧.

[٢] انظر الكشاف، ٢٩٢/١؟

[٣] الإشارة إلى الإيجاز، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالساحة عن نازليها، وبالنادي والندي عن أهليها، وبالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الإنسان، لأنهم كانوا في الغالب يقضون الحاجة في الأماكن المنخفضة تسترا عن الناس.

ومثال التعبير باليد عن القدرة والاستيلاء: قوله تعالى: ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ (سورة الملك آية:١) أي : بقدرته، أي في قدرته وقهره واستيلائه الملك[١].

وقوله تعالى: ﴿**بيدك الخير**﴾ (سورة آل عمران آية:٢٦) أي في استيلائك وقبضك.

وجعل البلاغيون التعبير باليد من المجاز المرسل الذي علاقته السببية وليست المحلية، كما ذهب العز، والأنسب في الآية أن تكون من هذا النوع، لأن اليد وإن كانت محلا للضرب والبطش، فإنه لا يتأتى منها القدرة وحدها، بل هي سبب في ظهور سلطان القدرة من بطش وضرب وأخذ ومنع وغيره.

ومثال التعبير بالعين عن الإدراك: قوله تعالى: ﴿**أم لهم أعين يبصرون بها**﴾ (سورة الأعراف آية:١٩٥) أي يبصرون بإدراكها، أو بنورها وذلك لأن العين محل الإدراك[٢].

ومثال التعبير بالصدر عن القلب قوله تعالى: ﴿**فلا يكن في صدرك حرج منه**﴾ (سورة الأعراف آية:٢) قال أي في قلبك[٣].

ومثال التعبير بالقلب عن العقل قوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمَن كان له قلب**﴾(سورة ق آية:٣٧)، أي: إن في ذلك لذكرى لمَن كان له عقل[٤]

ومثال التعبير بالأفواه عن الألسن، قوله تعالى: ﴿**تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾ (سورة النور آية:١٥) أي بألسنتكم، وقد صرح بهذا في قوله تعالى: ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾(سورة الفتح آية:١١).

وهذه الأنواع التي ذكرها العز مما ذكره البلاغيون في المجاز المرسل باسم العلاقة الحالية، التي يقع المجاز فيها باسم الشيء الذي يحل فيه.

---

(١) ذكر الزمخشري في الآية: أن اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه. انظر الكشاف،٤/٥٧٩.

(٢) انظر الإشارة إلى الإيجاز، ص٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال التعبير بالألسن عن اللغات قوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ (سورة الشعراء آية:٨٤) قال العز: "أي: ذكرا جميلا وثناء حسنا[١]، وقوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾** (سورة إبراهيم، آية:٤) أي بلغة قومه[٢].

وجعل بعض البلاغيين التعبير باللسان عن اللغة، أو الثناء، من المجاز المرسل الذي علاقته الآلية، إذ عبر باللسان وأريد منه اللغة لأنه آلتها[٣].

يعد هذا خلافاً لفظياً بين العز والبلاغيين، لأن اللسان يكون محلا للغة، والنطق بها،ولا يمنع هذا أن يكون آلة للغة.

وأما التعبير بالقرية عن قاطنيها: فمثاله قوله تعالى:-**﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾** (سورة يوسف آية:٨٢)، ومثّل للتعبير بالساحة عن نازليها بقوله تعالى: **﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾** (سورة الصافات آية:١٧٧) معناه: فإذا نزل بهم[٤].

ومثّل للتعبير بالنادي والندي عن أهلهما بقوله تعالى: **﴿فليدع ناديه﴾** (سورة العلق آية:١٧) أي فليدع أهل ناديه.

وقوله تعالى **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾** (سورة مريم آية:٧٣) معناه عنده: وأحسن أهل مجلس[٥].

ومثّل للتعبير بالغائط بقوله تعالى **﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾** (سورة النساء آية ٤٣) ونلحظ هنا أن العرف قد خصص كلمة " الغائط" بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الأرض.

ويرفض ابن الاثير هذه النظرة إذ يقول: " هذا شيء ذهب إليه الفقهاء وليس الأمر كما ذهبوا إليه، لأنه إن كان إطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من إسكافي

---

[١] ذكر الزمخشري أن لسان الصدق هو الثناء الحسن، انظر الكشاف، ٢٤/٣.

[٢] وهو نص توجيه الزمخشري للآية، انظر الكشاف، ٥٠٧/٢.

[٣] انظر المطول ص٣٥٦،والإيضاح ص٣١٦.

[٤] انظر الإشارة إلى الإيجاز ص٦١.

[٥] أخذه العز عن الزمخشري بتصرف. الكشاف: ٣٨/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم، فهؤلاء لا يفهمون من الغائط إلا قضاء الحاجة، لأنهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة، وأنها المطمئن من الأرض.

وأما خاصة الناس الذي يعلمون أصل الوضع، فإنهم لا يفهمون عند إطلاق اللفظ إلا الحقيقة لا غير،ألا ترى أن هذه اللفظة لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك، كقوله تعالى: ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط**﴾[١] (سورة المائدة آية:٦).

ويرى الدكتور محمد بدر عبد الجليل أن ابن الأثير تَعَنَّتَ في هذا الكلام لأن الكلمة داخل مجتمعها ليست في حاجة إلى قرائن لأنها حقيقة، وخارجه محتاجة إلى هذه القرائن لأنها مجاز [٢].

١٣- وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه :

كقوله تعالى: ﴿**فذلك يومئذ يوم عسير**﴾ (سورة المدثر آية:٩) وصفه بالعسر وهو صفة للخلاص من أهوال ذلك اليوم.

وجعل البلاغيون الآية من التجوز في الإسناد، والعلاقة فيها الزمانية.

وذكر العز أمثلة أخرى منها قولهم: " يوم بارد، ويوم حار، ويوم قر، وليلة قر، والبرد والحر والقر صفات للهواء الذي يشتمل عليه الليل والنهار ويقال: يوم ماطر، وليلة ماطرة، وإنما المطر في اليوم "والليلة.

وكقوله تعالى: ﴿**والنهار مبصرا**﴾ (سورة يونس آية:٦٧) أي مبصرا فيه، فوصفه بصفة المبصرين فيه. ونقل العز عن أبي عبيدة قوله : " قال أبو عبيدة: كل شيء يعمل فيه يصير العمل له، قال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السُّرى ونَمْتِ وما ليل المطي بنائم[٣]

واستشهد العز بقول رؤية بن العجاج الراجز: "قنام ليلي وتجلي همي" والليل لا ينام وإنما ينام فيه[٤]

---

[١] المثل السائر لابن الأثير ١/٧١.

[٢] انظر: المجاز وأثره في الدرس اللغوي . د. محمد بدر عبد الجليل، ص١٢٢.

[٣] قائله جرير، انظر ديوانه، ص٤١٩، والكتاب لسيبويه ١/١٦٠. [٤] تجلي : انكشف وظهر.

[٤] انظر مجاز القرآن ج١، ص٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما ذكره العز من شواهد قرآنية وشعرية واقع ضمن المجاز العقلي، الذي علاقته الزمانية، إذ أسند الحدث إلى زمانه وقد ذكره البلاغيون في مباحثهم[١].

ويدل هذا على أن المجاز العقلي لم يكن مميزا عند العز، بدليل أنه تحدث عنه في مواضع متفرقة من الكتاب، ولم يسمه باسمه، ولكني لاحظت أنه يطلق عليه أحيانا مجاز النسبة.

ويؤخذ على العز عدم التصريح بالمصطلح المعروف، وكأنه لم يَطَّلع على ما كتبه عبد القاهر، والسكاكي والرازي في تقعيد البلاغة ولم يستفد مما ذكروه من مصطلحات على الرغم من كثرة نقوله عن الزمخشري والرازي، وهذا واضح من خلال ما ساقه من أمثلة.

١٤- وصف المكان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه:

جعل البلاغيون هذا المجاز من المجاز العقلي الذي علاقته المكانية ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**رب اجعل هذا بلدا آمنا**﴾ (سورة البقرة آية:١٢٦) وصف البلد بالأمن، وهو صفة لأهله.

وصف الأعراض بصفة من قامت به: كقوله تعالى: ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ (سورة البقرة آية: ١٦) قال العز: "وصف التجارة بالربح وهو صفة للتاجر"[٢].

ويفهم من الآية أنها من المجاز العقلي الذي علاقته السببية لأن التجارة جعلت فاعلا للربح الذي هي سبب فيه، وقد أشار إلى ذلك الزمخشري[٣] ونحو قوله تعالى:

﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾ (سورة التحريم، آية:٨) . قال: " وصف التوبة بالنصوح، وهي صفة للتائب الناصح لنفسه بتوبته"[٤]. ورغم أن العز يوافق الزمخشري في قوله، لكنه لم يؤيده فيما جرى فيه من منحى بلاغي[٥].وقد أنهى العز هذا النوع بأمثلة ذكرها البلاغيون في باب المجاز العقلي

---

[١] انظر أسرار البلاغة، ٢٣٧، والإيضاح ص٥٧،٥٨، ومفتاح العلوم ص٣٩٥.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز ص٦٣.

[٣] الكشاف، ١/١٠٧-١٠٨.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز ص٦٣.

[٥] قال في الآية: وصفت التوبة بالنصح وهو على الإسناد المجازي، والنصح صفة للتائبين. انظر الكشاف، ٤/٥٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي علاقته المصدرية " كقولهم: شِعْرٌ شاعر، وصفوا الشعر بصفة الشاعر مبالغة، ومثله قولهم، جد جده، وصفوا الجد بصفة الجاد[١].

وقد ذكر العز المعنى البلاغي للمجاز العقلي ، وهو المبالغة وذلك على غير عادته.

والظاهر أن العز يتفق مع البلاغيين في توجيهه لما سبق من أمثلة المجاز العقلي، غير أنه يختلف عنهم في التسمية فقط، بدليل أنه لم يزد شيئا عما ذكروه، ولعله قد أطلق عليه اسم "مجاز النسبة" كما ظهر ذلك في مجاز التشبيه.

الكناية :

ذكر العز الكناية ضمن مجاز الملازمة، مع أنه يميل إلى أنها ليست من المجاز يقول: " والظاهر أن الكناية ليست من المجاز، لأنها استعملت اللفظ فيما وضع له، وأرادت به الدلالة على غيره، ولم تخرجه عن أن يكون مستعملا فيما وضع له، وهذا شبيه بدليل الخطاب في مثل قوله تعالى: ﴿**فلا تقل لهما أف**﴾ (سورة الإسراء آية:٢٣).[٢]

ويرى الدكتور عبد القادر حسين أن العز يميل إلى اعتبار الكناية نوعا من الحقيقة[٣].

ولعل العز قد تأثر بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) الذي لم يعد الكناية من المجاز[٤] فتردد العز في أمر الكناية دون البت فيها، هل هي من المجاز أم ليست منه، فقوله "فالظاهر" جاء على صيغة التعريض وتدل على تردده في ذلك، مع أنه ضمها لأنواع المجاز.

وذكر العلوي أن " أكثر علماء البيان على عد الكناية من أنواع المجاز خلافا لابن الخطيب الرازي، فإنه أنكر كونها مجازا"[٥].

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز ص٦٣.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز. ص٦٣.

[٣] القرآن والصور البيانية ، د. عبد القادر حسين ص٢١٩.

[٤] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص١٣٦.

[٥] الطراز للعلوي ج١، ص٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَرَّقَ السكّاكي بين الكناية، وبين المجاز في وجهين:

أحدهما: أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها، والمجاز ينافي ذلك.

الثاني: أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم،[١]، وقد رد عليه الخطيب هذا القول[٢].

ومن الأمثلة التي ذكرها العز في الكنايات قوله: "كما جاء في قول إحدى النسوة في حديث أم زرع "زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد"[٣] كَنَّتْ برفعة عماده عن شرفه ومنزلته، لأن رفع العماد يلازم الشرف غالبا، وكَنَّتْ عن طول قامته بطول نجاد سيفه، لأن من طالت قامته، طال نجاد سيفه، وكَنَّتْ بعظم رماده عن كثرة ضيافته وإطعامه، لأن الرماد لا يعظم إلا عن كثرة الطبخ، والإحراق للحطب الكثير، وكَنَّتْ بقرب بيته من المجلس عن كرمه، لأن البخلاء كانوا يبعدون بيوتهم عن المجلس، كي لا يستتبعوا الأضياف منه، وكانوا ينزلون في المواضع المنخفضة كي لا يراهم الضيفان، فيأتونهم.

ولذلك قال طرفة بن العبد:

ولستُ بحَلَّالِ التلاعِ مَخَافَةً ... ولكنْ متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ[٤]

والتلاع جمع تلعة، وهي من الأضداد، يطلق على الارتفاع والانخفاض[٥].

ومجمل الأمر أن العز لم يُبْدِ حماسا شديدا في فصل القول بالنسبة للكنايات، فرغم أنه ذكر أمثلة لها، فإنه يميل إلى جعلها حقيقة.

وربما جعل العز الكناية من مجاز الملازمة لأن الكناية لفظ يراد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي[٦].

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ص٤٠٣.

(٢) الإيضاح ج٢،ص٣٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب" النكاح" . ص٢٥٤، باب حسن معاشرة الأهل، وصحيح مسلم ج١٥، ص٢١٦، حديث أم زرع.

(٤) معلقته في شرح المعلقات السبع للزوزني،ص٨٣.

(٥) الإشارة إلى الإيجاز ص ٦٣.

(٦) الإيضاح ص٣٦٥. وانظر الاتقان في علوم القرآن، ٢/٩٨-٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجاز التشبيه

يذكر العز في أول هذا الفصل الفرق بين التشبيه الحقيقي والتشبيه المجازي إذ يقول:

" العرب إذا شبهوا جرما بجرم أو معنى بمعنى، أو معنى بجرم فإن أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيها حقيقيا، وإن أسقطوا أداة التشبيه كان ذلك تشبيها مجازيا"[١].

وبهذا يخرج العز من المجاز كل ما كان فيه أداة تشبيه، ويعد التشبيه البليغ مجازا لخلوه من الأداة، ويبدو أن مدار الفرق بين التشبيه الحقيقي والتشبيه المجازي متوقف على ذكر الأداة وعدمها، فالتشبيه الذي تذكر فيه الأداة يعد حقيقة، والذي يعرى من الأداة يكون عنده مجازا.

وقد أفاد العز في هذا المعنى من الرماني (٣٨٦هـ) وذلك في معرض تعريفه للاستعارة، إذ ذكر الفرق بين التشبيه والاستعارة، ذاهبا إلى أن التشبيه لا بد فيه من ذكر الأداة فإذا خلا منها صار استعارة يقول الرماني: " والفرق بين الاستعارة والتشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة"[٢].

وعرض العز لأمثلة من التشبيه المجازي ومنها قوله تعالى : ﴿ **وأزواجه أمهاتهم**﴾ (سورة الأحزاب آية:٦) أي مثل أمهاتهم في الحرمة، وتحريم النكاح، ومنها قول الدعي: " زيد بن محمد"[٣].

وقولهم: أبو يوسف أبو حنيفة[٤]. يريدون به أنه مثله في الفقه والفطنة، وقولهم: أنت سمعي وبصري، معناه: أنت عندي في العزة والمنزلة مثل سمعي وبصري[٥].

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٦٤.

[٢] النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٨٥-٨٦.

[٣] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل زيد بن حارثة، ج١،ص١٩٥.

[٤] أبو يوسف: هو الإمام أبو يوسف القاضي: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري، صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء: المهدي، والهادي، والرشيد. مات ببغداد سنة١٨٢، انظر: مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للدعي ص٣٧.

[٥] الإشارة إلى الإيجاز، ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يذكر العز أمثلة للتشبيه الحقيقي وذهب إلى أن التشبيه البليغ من المجاز وذلك في قوله : " وهذا كله يسمى التشبيه البليغ، لأنه شبه شيئا بشيء لاشتراكهما في وصف واحد، فإذا أردت المشابهة في جميع الوجوه والصفات أسقطت أداة التشبيه، حتى كأنه هو من غير فرق بينهما، وكذلك قد يكون المشبه دون المشبه به في الصفة كقولك: زيد كالأسد، وعمرو كالبحر فإذا أردت المبالغة في صفة الشجاعة والكرم قلت: زيد الأسد وعمرو البحر، شبه الرجل الشجاع بالأسد في القوة، وشبه الرجل الجواد بالبحر تشبيها لسعة عطائه بسعة البحر، ومثله قوله تعالى: ﴿**هذا الذي رزقنا من قبل**﴾ (سورة البقرة: آية:٢٥) .أي هذا مثل الذي رزقناه من قبل"[١]

وقد سبق الشريف الرضي العز في هذا المذهب[٢] ولكن جمهور البلاغيين لم يجعلوا التشبيه البلاغي مجازا أقرب إلى التشبيه، على حين ذهب آخرون إلى أنه أقرب إلى الاستعارة واتخذ فريق من البلاغيين موقفا محايدا.[٣]

وأرى أن العز قد خلط بين المجاز وغير المجاز؛ ذلك لأن التشبيه البليغ يحذف فيه وجه الشبه مع الأداة لا مجاز فيه، وعلى هذا جل البلاغيين، وقَلَّ منهم مَن يقول إنه استعارة أو مجازا، لأن الاستعارة لا يجمع فيها بين المشبه والمشبه به[٤].

---

[١] المصدر نفسه، ص٦٤.

[٢] ويظهر ذلك من كلام الشريف الرضي في قوله صلى الله عليه وسلم: " أنتم بنو آدم كطف الصاع" قال خرج الكلام عن أن يكون مستعارا، لأن دخول كاف التشبيه في الكلام يخرجه عن المجاز، وذكر أبي (الشريف) في قوله صلى الله عليه وسلم "الخلق عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله" قال: "وهذا القول مجاز ، وهو تشبيه بليغ" انظر المجازات النبوية ص٢٨٢، ص٢٤١، ص٢٤٢.
ويلاحظ أن الشريف جعل الفرق بين الاستعارة وغيرها في الحديث الأول ذكر الكاف وتركها وهي أداة التشبيه، وشبه الخلق في الحديث الآخر في احتياجهم إلى الله بالعيال الذين يحتاجون إلى من ينفق عليهم ويتولى أمرهم، وحذف وجه الشبه والأداة، انظر تعليق المحقق (د. طه الربي) على الحديثين ص(و) وهامش ص٢٤٢.

[٣] . وذكر القاضي الجرجاني في كتابه" الوساطة" كلاما في الفرق بين التشبيه والاستعارة، اعترض فيه على ما ذهب إليه العز. وتبسم عبد القاهر الجرجاني رأيه إلى رأي القاضي الجرجاني في التشبيه الخالي من الأداة وذهب إلى أنه تشبيه إذ قال: "إن الوجه الذي يقتضيه القياس، وعليه مدار كلام القاضي في الوساطة أن لا تطلق الاستعارة على نحو قولنا: "زيد أسد" و "هند بدر" ولكن تقول: هو تشبيه، وفصّل عبد القاهر المسألة فذكر رأيا آخر يبدو محايدا بين الطرفين قال : " إن هذا الضرب يبعد عن التشبيه قليلا ليقرب بين الاستعارة بمقدار هذا البعد، واشترط له شروطا، ولم يعترض على تسمية من سماه استعارة.

وقد فهم صاحب الإيضاح فهم عبد القاهر. ولم يفرق ابن سنان بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط لأن التشبيه قد يرد بضمير الألفاظ الموضوعة ويكون حسا جميلا، ولا يعده أحد في جملة الاستعارة لخلوه من الأداة كما خطّأ ابن الأثير من خلط بين التشبيه البليغ (المضمر الأداة) والاستعارة. انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٤٠ وأسرار البلاغة ٢٧٩، ٢٨٦، والإيضاح ٣٢٠، وسر الفصاحة لابن سنان ١٣٥، والمثل السائر ٣٤٤/١-٣٤٨.

[٤] انظر: التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز للمطعني. ص٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يعني تصريح العز بأن التشبيه البليغ مجاز أن كل مجاز التشبيه هو تشبيه بليغ، فقد ذكر في هذا الباب أقساما مختلفة من الاستعارة وذلك يعني كثرة التشبيه البليغ في القرآن[١].

وخلط العز مع مجاز التشبيه المجاز المرسل، والمجاز العقلي (النسبة) والحذف، وجمع بين مجاز الملازمة ومجاز التشبيه وظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ (سورة المائدة آية:٦٤) قال العز : لما كان الباسط يده غير مانع لما فيها شبه البذل والإنفاق ببسط اليد للإعطاء، كما عبر بالقبض عن البخل، لأن القابض على الشيء يمتنع خروجه من يديه إلا أن يبسطهما، وهو من مجاز الملازمة والتشبيه[٢].

وذكر العز مئة نوع لمجاز التشبيه، ووضع لكل نوع أمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب، وأجرى المجاز في بعضها وترك أكثرها معتمدا على فطنة القارئ.

وتناول العز في هذا الباب أنواعا أخرى من المجاز نحو المجاز المركب و الاستعارة التمثيلية"، والمَثل، واسم الإشارة، كما عرض للمجاز العقلي (النسبة) والمجاز المرسل، ولم يفته تقدير الحذف مع مجاز التشبيه إذا لم يستقم له المعنى، ولم يذكر "أو" كعادته عند تقدير الحذف.

وجعل جزءا من الآية عنوانا لنوع من المجاز نحو قوله تعالى: ﴿وأذنت لربها﴾ (سورة الانشقاق آية:٢) وقوله: ﴿**ولما سكت عن موسى الغضب**﴾ (سورة الأعراف آية:١٥٤) والأمر المجازي في قوله: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ (سورة يس آية:٨٢) والسد المجازي والدحض المجازي، والجنة المجازية.

كانت طريقة العز في ذكره الأنواع أن يذكر المعنى على طريق الحقيقة، ثم يذكره على جهة المجاز مستعينا بأمثلة عديدة من القرآن الكريم، ومما يوضح هذه الطريقة قوله في النوع الخامس والعشرين: الركن:

---

[١] ذكر ابن الأثير أن الاستعارة في القرآن قليلة لكن التشبيه المضمر الأداة كثير، وكذلك في فصيح الكلام من الرسائل والخطب والأشعار. انظر: المثل السائر ج٣، ص١٠٢.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"هو حقيقة في أركان البناء التي يعتمد عليها البناء، ثم تجوز به عن العشيرة المعتمد عليها في النصر تشبيها للاعتماد عليها باعتماد البناء على الأركان ومنه قوله تعالى: ﴿**أو آوي إلى ركن شديد**﴾ (سورة هود آية:٨٠).

ويتجوز به عن القوة لأن المرء يعتمد على قوته في مثل قوله تعالى: ﴿**فتولى بركنه**﴾ (سورة الذاريات آية:٣٩) أي بقوته، وفي مثل قول عنترة:

فما أوْهَى مراسُ الحربِ ركني ولكنْ ما تقادمَ من زمانِ[١]

أراد: فما أضعف مراسي الحرب قوتي، وقد يتجوز به عن الجنود، الذين يرجى نصرهم للاعتماد عليهم في مثل قوله تعالى: ﴿**فتولى بركنه**﴾ (سورة الذاريات، آية:٣٩).

لقد انتفع العز من الرماني (٣٨٦هـ) في هذا الباب، فأرجع كل استعارة إلى حقيقتها، غير أن العز أكثر من أمثلته مع التوجيه الذي لا يخلو أحيانا من الحس الجمالي، مؤيدا ما ذهب إليه بالحديث الشريف وفصيح العرب، على حين اكتفى الرماني بالشواهد القرآنية.

وعد العز " اللباس" من تشبيه الأجرام بالأجرام كقوله تعالى: ﴿**هُنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٧).

شبه كل واحد من الزوجين لاشتماله على صاحبه في العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه قال الشاعر:

إذا مَا الضَّجيعُ ثَنَى عطفَها تَثَنَّتْ عليه فكانَتْ لِبَاسَا[٢]

وهو من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام، لأن كل واحد منهما يصون صاحبه عن الوقوع في فضيحة الفاحشة فيكون كاللباس الساتر للعورة"[٣].

ومن هذا القسم قوله تعالى : ﴿**وابيضَّتْ عيناه من الحزن فهو كظيم**﴾ (سورة يوسف آية:٨٤) قال العز : شبه قلبه بالحزن على يوسف بامتلاء السقاء

---

[١] انظر ديوانه: ص١٠٠.

[٢] البيت لنابغة الجعدي في تأويل مشكل القرآن ،ص١٠٧، وشواهد الكشاف ص١٥٢، ومجاز القرآن ج١، ص٦٧.

[٣] الإشارة إلى الإيجاز ص٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ه وتركه الشكوى إلى غير الله برباط ربط على فم السقاء
مخرج منه شيء، وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام[١].

جاء وشبيه
المعلوم

مالى : ﴿وسراجا منيرا﴾ (سورة الأحزاب آية:٤٦) أي لما شبه
الظلمات، وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراج في إزالة
لالات، تجوز عنه بالسراج ووصفه بالإنارة لعموم هدايته لأن السراج
يفا فلا تعم إنارته الناس، وقد يكون قويا تتسع إنارته، وإزالته للظلمات
جاز تشبيه الأجسام بالأجسام[٢].

ويلاحظ هنا براعة العز في التحليل والتوجيه وتفوقه على الرماني الذي اكتفى بقوله: "السراج ههنا مستعار، وحقيقته مبينا، والاستعارة أبلغ للإحالة على ما يظهر بالحاسة" فالعز كان أطول نفسا من الرماني وحدد مجازه بتشبيه الأجسام للأجسام، أو الأجرام بالأجرام.

وقوله تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ (سورة الأنعام آية:٣١) شبه مشقة عهدة الذنوب بمشقة حمل الأثقال[٣].

ووقف العز على بلاغة هذا النوع من المجاز فقال: " فإنه – أي تشبيه مشقة حمل الأوزار بمشقة حمل الأثقال أبلغ في شدة مشقة عذابهم من جهة أن الشيء الثقيل قد يحمل باليد، فإن أفرط ثقله حمل على الكتف، فإن أفرط ثقله حمل على الظهر، فشبه شدة مشقة العذاب بأثقل الأشياء المحمولة على الظهر لتعذر حملها على الأكتاف، ثم ذكر العز أن هذا النوع الكبر والصغر والعظم والدقة والحمل والثقل والخفة والرقة) من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام[٤].

ويقف العز على المعنى الحقيقي والمجازي مستشهدا بكلام العرب، ثم يذكر الآيات الواقعة ضمن المعنى المجازي، نحو قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ (سورة آل عمران آية:١٠٣) وقوله تعالى: ﴿ومَنْ يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة آل عمران آية:١٠١) أي: ومَن يعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز، ص٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في القرآن المبين: – هو حبل الله المتين– "[١] قال العز: " أراد مَن تمسك به نجا من عذاب الله، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام"[٢].

ومن هذا القسم "الكفر" وحقيقته:" ستر جرم بجرم وتغطيته به كي لا تراه الأعين ولما كان الكفر مانعا للبصيرة من إدراك الحق شَبَّه ما يمنع البصائر من إدراك المعلومات بما يمنع الأبصار من إدراك المحسوسات، وذكر قول زهير:

والسِّتْرُ دُوْنَ الفَاحِشَاتِ وما ... يَلْقَاكَ دون الخيرِ مِن سِتْرِ[٣]

أراد ذلك المنع دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من مانع"[٤].

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿**كمثل غيث أعجب الكفار نباته**﴾ (سورة الحديد،آية: ٢٠). قال: " المراد بالكفار الزراع لأنهم يكفرون الحب في الأرض أي يسترونه. وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام.

ومن أنواع التشبيه التي تحدث عنها العز التجوز بلسان المقال عن دلالة الحال لاشتراكهما في الدلالة ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ (سورة ق آية:٣٠) وقوله: ﴿**إنما نُطْعِمُكُمْ لوجه الله**﴾ (سورة الإنسان، آية:٩) إنما قالوا ذلك بلسان المقال.

وعرض العز لشواهد من الشعر على هذا النوع، منها قول عنترة: [٥]

شَكَا إليّ جَمَلي طُوْل السُّرى ... صَبْراً قَليلا فكِلانَا مُبْتَلى

وقوله:[٦]

فازْوَرَّ مِنْ وقعِ القَنَا بِلَبانِهِ ... وَشَكَا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

---

[١] الحديث في الترمذي، باب ثواب القرآن رقم ١٤.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز،ص٦٩،ص٧٠.

[٣] ديوانه، ص٢٩، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ص٩٤.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز، ص٩٧.

[٥] مجاز القرآن ج١ ص٣٠٣،ص٣٠٤، والسرى: السير ليلا. ومعاني القرآن ج٢، ص١٥٥.

[٦] المعلقات بشرح الزوزني ص١٢٩، وفي تأويل مشكل القرآن ص٧٩. ومعاني القرآن ج٢،ص١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول أبي النجـم:[١]

إذْ قالتِ الأنساعُ للبطن الحقـي

وقول الشـاعر:[٢]

قَالتْ له ريحُ الصبا قرقـار

وقول الشـاعر: [٣]

امتلأ الحوضُ فقالَ قِطْني مهلاً رويدا قـد مَـلأتَ بَطْنـي .

وقال العز: " وهذا أيضا من مجاز التشبيه، لما كـانت حالـة هـذه الأشـياء كحـال الناطق الشاكي، تجوز بهذه الألفاظ عـن حالـها"[٤].

وقد بَيّنتْ في مطلع حديثي في هذا الباب أن العز يتحـدث عـن أنـواع أخـرى مـن المجاز من خلال توجيه بعض الآيات في معرض حديثه عـن مجـاز التشـبيه، وقـد يعـد ذلك خلطا، وقد يعد ميزة تحسب له، وتـبرز مقدرتـه الفائقـة وسـعة إدراكـه فـي فـهم المعنى القرآني، ومن أمثلة ذلك حديثه عن المجاز المرسل رغـم أنـه خصـص لعلاقاتـه فصولا مستقلة بـه.

وتحدث العز عن أنواع أخرى من مجاز التشـبيه جعلـها البلاغيـون مـن المجـاز المركب (المثل والاستعارة التمثيلية)، وأفرد العز للمثل فصلا مسـتقلا وجـه آياتـه علـى سبيل الاستعارة والتمثيل، وتحدث عن اسم الإشـارة للبعيـد (ذلـك) وجعلـه مـن مجـاز التشـبيه.

أولا: الاسـتعارة التمثيليـة:

جعل العز الاستعارة من مجـاز التشـبيه، ولـم يُعـن بالتقسـيمات المعـهودة عنـد البلاغيين مثال ذلك تعليقه على قوله تعـالى: ﴿**فأذاقـها الله لبـاس الجـوع والخـوف**﴾ (سورة النحل أية:١١٢) قال: " شَبّه ما ظهر عليهم مـن أثـر الجـوع والخـوف باللبـاس الظاهر على الأجساد، وقيل المراد باللباس ههنا ملابسـة الجـوع والخـوف، ولـو قـال:

---

[١] هذا رجز لأبي النجم يوصف ناقة أضناها السير.

[٢] انظر: شواهد الكشاف، ولسان العرب، مادة: حنق، والأنساع: جمع نسع، وهو سير يضر عريضا، تشد به الرحال، وحَنِقَ البطن يلحق خرقا: ضُمُرٌ. ويقال: قَلِقَتْ أنساع الدابة وسوعها: ضمرت.

[٣] لم أهتد إلى قائله في حدود ما اطّلعت عليه من مصادر انظر المبرد ٢/٩١.

[٤] انظر كتاب الإشارة إلى الإيجاز ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأجاعها الله وخوفها لم يكن فيه معنى إلاذاقة، ولا معنى ظهور آثارهما عليهم" (١)...(٢).

ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية التي أشار إليها دون التصريح بالتسمية، وعدّها من مجاز التشبيه – قوله تعالى – ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ (سورة البقرة آية:٢٥٦).

" شبه الإيمان بعروة وثيقة وشَبَّه المؤمن بمَن تعلق بها لينجو من مهلكة كما ينجو من وقع في بئر أوهوة. إذا تمسك بعروة وثيقة ليرقى بها فهو مجاز تشبيهي"(٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿**حتى إذا أخذتِ الأرضُ زخرفها وازّيّنت**﴾ (سورة يونس آية:٢٤) شبيها في حسنها ونضارتها بعروس أخذت ثيابها، وازّينت بها.

ومن الحديث الشريف قول إحدى النسوة في حديث أم زرع "زوجي لحسم جمل عُث على رأس جبل وعر، ولا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل"(٤)شبهت خسة معروفه بلحم جمل مهزول، وشبهت عسر الوصول إلى اللحم على رأس الجبل الوعر، وبالغت في عسر الوصول إلى ذلك بقولها: ولا سهل فيرتقى، وبالغث في عُثاثته بقولها: ولا سمين فينتقل، أي فينقله الناس إلى رِحَالهم، بل يزهدون فيه، ويتركونه في مكانه لغثاثته، وخساسته. وأما قول الأخرى منهن: إن أذكر "عُجُره وبُجُره" ، شبهت نقصه وعيوبه بالعجر والبجر، وهي عروق تتعقد في بطن الإنسان(٥).

ويلاحظ أن المجاز في الأمثلة السابقة جاء على طريق الاستعارة التمثيلية أو (المجاز المركب) وهو اللفظ المستعمل في معنى مشبه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل، وطرفا هذه الاستعارة لا بد أن يكونا مركبين، أي أن يكونا هيئتين منتزعتين من أمرين، أو أمور يشبه أحد الطرفين بالآخر، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به

---

(١)...(٢) الإشارة إلى الإيجاز، ص٩٢. (٣) وصاحب الإيضاح جرى مجرى العز في الآية. انظر: الإيضاح للقزويني ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز،ص١٠١.

(٤) حديث أم زرع في صحيح البخاري ج٩،ص٢٥٤ –= رقم الحديث ٥١٨٩، وصحيح مسلم ج١٥، ص٢١٢، كتاب الفضائل باب حديث أم زرع.

(٥) الإشارة إلى الإيجاز، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبالغة في التشبيه، ويستعار للمشبه لفظ المشبه بـــه مـــن غـــير تغيـــير[١]. والتمثيـــل هـــو المماثلة، وذلك أن تمثل شيئا بشيء فيـــها إشـــارة"[٢].

ومن أمثلة هذا النوع قولهم: " فلان يقـــدم رجـــلا ويؤخـــر أخـــرى"[٣] شـــبهوا مـــن يتردد في أمره، ولا يظهر الإقـــدام عليـــه، ولا الإحجـــام عنـــه بمَـــن يقـــدم رجـــلا فـــي طريقه، ويؤخر الأخرى إلى ورائـــــه"[٤].

ويلاحظ في هذا المثال استعارة اللفظ المركب الدال على المشـــبه بـــه للمشـــبه.

---

[١] الإيضاح، ٣٤٧ وانظر علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي ، ص٢٦٦.

[٢] العمدة لابن رشيق،ص١٩٢

[٣] هذا القول مأخوذ مما نسب إلى يزيد بن الوليد الأموي لمروان بن محمد حين تأخر عن مبايعته بالخلافة " إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت – الدلائل ،ص٣٢١.

[٤] أدب الكاتب لابن قتيبة والإيضاح ج٢، ص٤٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- الأمثـال:

تعدّ الأمثال العربية الفصيحة التي تستعمل في حالات شـبيهة بالوقـائع التـي قيلـت فيها بادئ الأمر استعارات تمثيلية؛ لأن جملة المَثَل فيـها تنقـل مـن واقعـة معينـة إلـى أخـرى شـبيهة بـها فـإذا اشـتهرت الاسـتعارة التمثيليـة وكـثر اسـتعمالها سـميت مثلا[١] وضرب الله الأمثال في القرآن الكريـم تذكـيرا ووعظـا[٢] ولذلـك قـال: ﴿**ولقـد ضربنا للناس في هذا القرآن مـن كـل مثـل لعلـهم يتذكـرون**﴾ (سـورة الزمـر، آيـة:٢٧).

وذكر العز " أن العرب لم يضربوا مثـلا سـائرا إلا وفيـه ضـرب مـن الغرابـة، ولذلك منعوه من التغيـير"[٣].

وتناول العز استعارة كلمة " مَثَل" للصفة العجيبة، والظـاهر أنـه لمـا كـان المثـل السائر دالاً على حادثة غريبة، هي مورده الذي قيل فيه أول الأمـر، فقـد اسـتعير لفظـة "مثل" لكل حالة غريبة، أو صفة لها شأن أو قصة فيها غرابـة بتشـبيه الصفـة أو القصـة الغريبة بالمثل السائر تجمع بينهما الغرابة واستعاروا لفظ مثل مـن المشـبه بـه للمشـبه .

ذكر العز الغرض البلاغي مـن ضـرب الأمثـال وذلـك فـي قولـه: " والغـرض بضرب الأمثال المبالغة في الإيضاح والبيان حتي يصـير الغـائب كالحـاضر، والمتخيـل كالمتحقق، والمتوهم كالمتيقن، ولذلـك كـثرت الأمثـال فـي كتـاب الله، وفـي الإنجيـل سورة الأمثـال"[٤].

وذكر أمثلة من القرآن الكريم منها قوله تعـالى: ﴿**مثلـهم كمثـل الـذي اسـتوقد نارا**﴾ (سورة البقرة آية:١٧) كان المعنـى حالـهم المسـتغربة العجيبـة فـي الاسـتغراب كحال الذي استوقد نارا، وقوله تعـالى ﴿ مثـل الجنـة التـي وعـد المتقـون﴾ (سـورة الرعد: آية:٣٥) كان المعنى: وفيما قصصنـا عليكـم صفـة الجنـة المسـتغربة العجيبـة الشأن، ثم أخذ في بيان عجائبها، وكذلك قولـه تعـالى: ﴿**ولله المثـل الأعلـى**﴾ (سـورة النحل آية:٦٠) يريد الوصف العجيب الشأن في العظمة والجـلال، وكذلـك قولـه تعـالى:

---

[١] علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي،ص٢٦٦.

[٢] الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز، ص١٤٣.

[٣] الإشارة إلى الإيجاز. ص٩١، وعلوم البلاغة للمراغي، ص٢٦٦.

[٤] الإشارة إلى الإيجاز، ص٩١، وانظر الكشاف،١٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ (سورة الفتح آية:٢٩) يريد وصفهم وشأنهم المتعجب منه.[١]

وقد تناول العز الأمثال في الفصل الأخير من كتابه " مقاصد القرآن الكريم" وبَيَّنَ أن الأمثال مؤكدة للأحكام ترغيبا أو ترهيبا أو تقبيحا أو تحسينا، وأنها لا تنفك من وعد ووعيد أو مدح أو ذم أو لوم أو توبيخ، وذكر أمثلة على ذلك من القرآن الكريم ووجهها توجيها بلاغيا.[٢]

٢- اسم الإشارة:

تحدث العز عن اسم الإشارة في إطار وصف المعاني بالبُعد وهو أحد أقسام مجاز التشبيه عنده، ومَثَّلَ لذلك بأمثلة من القرآن ثم شرع في التوضيح، ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿فذلكم الله ربكم﴾ (سورة يونس: آية٣٢).

قال العز:" العرب يشيرون بذلك عما بعد عن المسير بالزمان أو المكان، ثم يعبرون بذلك عن تفاوت الرتب في الشرف والكمال، فأشير إلى الرب، بذلك لبعد ذاته عن مشابهة شيء من الذوات، ولبعد صفاته عن مضاهاة شيء من الصفات.

وقال بعد قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ (سورة البقرة آية:٢): " فإن كان إشارة إلى القرآن المكتوب في اللوح المحفوظ، أو إلى الموعود إنزاله في قوله تعالى: ﴿إنَّا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ (سورة المزمل، آية:٥) فهي إشارة حقيقية إلى بعد زماني أو مكاني، لأن البعد في الزمان والمكان حقيقة[٣].

وإن كان إشارة إلى كماله كان من مجاز التشبيه لبعده عن مضاهاة شيء من الكتب السماوية، وعن مشابهة كل كلام.

ومَن جعل " ذلك" بمعنى " هذا" كان تجوزا، والعرب تخاطب الشاهد بخطاب الغائب.

قال: خفاف بن ندبه"[٤]:

---

[١] الإشارة إلى الإيجاز، ص٩١.

[٢] وانظر الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز، ص١٤٣-١٥٧.

[٣] هذا الرأي ضعيف وهش ضعيفه. صرح بذلك العز في كتابه " الفوائد في مشكل القرآن ص٦٤،٦٥، انظر: الغرر الوجيز ج١،ص١٤٢، ضمن خمسة آراء في الآية، وقد كان حديث العز عن اسم الإشارة في كتاب الفوائد أكثر دقة من كتاب الإشارة.

[٤] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج١،ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَقُولُ له والرمحُ يأطرُ متنَهُ تَأمّلْ خفَافاً إنّني أنَا ذلِكا

أي: إنني أنا هـذا[١]

وقد يكون مجاز تشبيه إذا أشير به إلـى كمالـه.

وإذا جعل بمعنى "هذا" كان تجـوزا.

وقد يشار بـ"ذلك" لما هو قريـب وحـاضر لبُعـد الحسـن والجمـال، ويشـار بـه للبُعد من رحمة الله أو الصـدق، أو الإلهيـة.

قال العز: "وأما قول امرأة العزيز ﴿فذلكـن الـذي لمتنني فيـه﴾ (سـورة يوسـف، آية:٣٢)، فإنها أشارت إليه بذلك – التي يشار بها إلى البعيد مـع حضـوره وقربـه، لبعـد حسنه وجماله عندها، فإنه بعد عـن أن يشـابهه جمـالٌ، وقـالت النسـوة: ﴿ مـا هـذا بشرا﴾ (سورة يوسف، آية:٣١) فأشرن إليه بهذا التي يشـار بـها إلـى القريـب لفراغـهن من غرامها بحسنه وجمالـه".

وأما قوله تعالى:﴿ **ومن يقل منهم إني إله مـن دونـه فذلـك نجزيـه جـهنم**﴾ (سورة الأنبياء آية:٢٩) فإنه أشـار إليـه" بذلـك" لبعـده مـن رحمـة الله أو لبعـده عـن الإلهية، فكأنه قال: فذلك البعيد من الرحمة، أو فذلك البعيـد مـن الإلهيـة، أو البعيـد عـن الصـدق"[٢].

وقد أشار البلاغيون إلى اسم الإشارة للبعيد، وَبيَّنُـوا أنـه يقصـد تعظيمـه بـالبعد، لأن المعنى لا يدرك بالحسّ حتى يشار إليه إشارة حسية فهو فـي حكـم البعيـد[٣]. وهـذا يدل على أن العز سار هنا على نـهج البلاغيـين.

مجاز المجاز:

انفرد العز بالحديث عن هذا النوع، ولعله لم يسـبق إليـه، بـل لامبالغـة إذا قيـل : إن اللاحقين لم يتعرضوا لهذا النوع من المجاز، وهـذا مـن دقـة نظـره وفهمـه العميـق لمدلول الآيات واستنباطه المعاني الدقيقـة منـها.

---

[١] البيت من بحر الطويل في الكامل للمبرد، ج٢، ص٢٨٥، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص١٩٦- انظر الإشارة على الإيجاز ص١٠٢.

[٢] الإشارة إلى الإيجاز، ص١٠٣. وانظر فوائد في مشكل القرآن، ص٦٤.

[٣] المطول للخطيب القزويني. ص٧٨، وحاشية السيد الشريف ص٧٨، والإيضاح ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعَرَّفَ العز هذا النوع من المجاز فقال: " هـــو أن يجعـل المجـاز المـأخوذ عـن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فتجوز بالمجـــاز الأول عـن الثـاني لعلاقـة بينه وبين الثـــاني"[١].

وأشار العز لهذا النوع بمثالين من القـرآن الكريـم، الأول: قولـه تعـالى: ﴿**ولكـن لا تواعدوهن سرا**﴾ (سورة البقرة آيـة:٢٣٥) ، فإنـه مجـاز عـن مجـاز، لأن الـوطء يتجوز عنه بالسر، إذ لا يقع غالبا إلا في السر، فلما لازم السر فـي الغـالب سـمي سـرا ويتجوز بالسر عن العقد لأنه سـبب فيـه.

فالمصحح (الموجه) للمجاز الأول الملازمة، والمصحح للمجـاز الثـاني السـببية، فمعنى: "ولا تواعدوهن سرا" لا تواعدوهن عقد نكاح[٢]. أما المثال الثـاني فقولـه تعـالى: ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله**﴾ (سورة المائدة آية:٥).

وعرض العز في هذا المثال لقول" مجاهد" ووجهه على هـذا النـوع مـن المجـاز، قال: "قال مجاهد في الآية: ومن يكفر بلا إله إلا الله فقـد حبـط عملـه، فـإن حمـل قولـه على ظاهره، كان هذا من مجاز المجـاز، لأن قـول لا إلـه إلا الله مجـاز عـن تصديـق القلب بمدلول هذا اللفظ، والتعبير بـلا إلـه إلا الله عـن الوحدانيـة مـن مجـاز التعبـير بالقول عن المقول فيه، والأول من مجاز التعبير بلفظ السـبب عـن المسـبب، لأن توحيـد اللسان مسبب عن توحيد الجنـان"[٣].

ولعل اقتصار العز على هذين المثالين مـن القـرآن، وهـو المكـثر مـن الأمثلـة، يدل على ندرة هذا اللون فى كلام العرب ومما يؤيد هذا ورود الآيـة السـابقة فـي أكـثر من موضع وتحليلها في أكثر من أسلوب، للوصول إلـى نتيجـة واحـدة هـي: أنـها مـن مجاز المجـاز.

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز، ص١١٢.وانظر الإتقان٢/١٠٠.

(٢) نقلت العز عن الآية نفسها في كتابه " الإمام في بيان أدلة الأحكام" ونقلت كذلك عن نفس الآية في كتابه " فوائد في مشكل القرآن" بقوله " إنه عُبِّر عن مقدمات عقد النزويج بالنكاح، فإن النكاح حقيقة في تداخل الأجسام، فإطلاقه على سببه الذي هو العقد مجاز، ثم تجوز به عن العقد إلى مقدماته.

* انظر: فوائد في مشكل القرآن ص٨٨،ص١٣١. والإمام في بيان أدلة الأحكام: ص١٩٤-١٩٥.

وأنظر: الإشارة إلى الإيجاز، ص١١٢.

(٣) انظر الإشارة إلى الإيجاز، ص١١٢.وانظر الاتقان للسيوطي ٢/١٠٠ – ١٠١، ومعترك الأقران، ١/٢٦٨.البرهان ٢/٣١١-٣١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجوز العز بالمجاز عن المعنى المجازي الأول إلى المعنى المجازي الثاني لعلاقة بينهما، يعد هو العمدة في ذلك، وصاحب الريادة فيه، وربما كان أول من طرقه، وعَرَفَ سره البلاغي.

الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظه واحدة:

يجيز العز الجمع بين الحقيقة والمجاز في اللفظة الواحدة باعتبار ما أسندت إليه قال:

" والجمع بينهما عند من رآه مجازا، لأنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له، فإنه وضع للحقيقة وحدها، ثم استعمل فيها وفي المجاز"[1].

وقد وقف الأصوليون على هذا النوع، واختلفوا فيه، فمنهم من أجاز الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة، ومنهم من منعه.

ووجه العز الآيات التي فيها جمع بين الحقيقة والمجاز على ضوء ما قرره الأصوليون وذكر توجيها آخر لمن لم يجمع بين الحقيقة والمجاز، فقدر محذوفا قبل اللفظ المعطوف على اللفظ الحقيقي.

وذكر منه المجاز على سبيل التمثيل (الاستعارة التمثيلية، والمجاز العقلي) ولم تقتصر أمثلته على الجمع بين الحقيقة والمجاز في الأفعال والأسماء، بل ذكره في الحروف أيضا.

وذكر العز لهذا النوع أحد عشر مثالا منها قوله تعالى: ﴿**أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**﴾ (سورة البقرة آية:١٦١)، فلعنة الله إبعاده، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم بالإبعاد، وقد جمعها في لفظة واحدة، وقال: "ومن لا يرى ذلك يقدر: أولئك عليهم لعنة الله، ولعنة الملائكة، فيكون من مجاز الحذف"[2].

وقوله تعالى: ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾ (سورة البقرة آية:٩).

" معنى يخادعون الله يعاملونه معاملة الخادع، فهي مجاز تمثيل، إذ أشبهت معاملتهم الرب، معاملة الخادع للمخدوع، ومخادعتهم الذين آمنوا حقيقة فقد جمع في " يخادعون" بين حقيقة المخادعة ومجازها.

---

[1] الإشارة إلى الإيجاز، ص١١٢. وفوائد في مشكل القرآن ص٨٩.

[2] الإشارة إلى الإيجاز، ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجمع بين المجاز والحقيقة: التعبير بالأبوين عن الأب والأم وبالقمرين عن الشمس والقمر، وبالعمرين عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكله من مجاز المشابهة، كتماثل الشمس والقمر في الضياء، وأبي بكر وعمر في حسن السيرة ولمشاركة الأبوين في الأصلية[1].

[1] المصدر نفسه، ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتـــــــمة:

إذا كانت غاية علماء البيان وغرضهم من دراسة المجاز وغيره من أنواع البيان دراسة مفصلة ليتمكن المتفنن في صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفسه من الغايات والأهداف ليؤثـر في نفس السامع، فإن علماء الشرع عرضوا للمجاز لحاجتهم إلى فهم معاني القرآن لاسـتنباط الأحكام من القرآن الكريم، ولا يتحقق لهم ذلك إلا بمعرفة الأساليب البلاغية الواردة فيه.

وقد دققوا في فهم أشياء في كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويـون بمـا فيـهم علماء البيان ومن أمثلة ذلك دلالة " افعل" على الوجوب و " لا تفعل" على التحريم ونحو ذلـك من الدقائق التي انتهى إليها الأصوليون بعد استقرائهم كلام العرب، وهذا ونحوه كان وسيلة لا غاية ثم إن اهتمام علماء الفقه بالمباحث البلاغية دفع البلاغة إلى وضع القواعـد الواضحـة والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم إليها في استنباط الأصول والأحكام.

لقد بذل المشرعون ما في وسعهم للكشف عن أساليب التجوز التي تتصل بطبيعة اللغـة في التعبير، كالتعبير بالعام الذي يراد به الخاص أو بالجزء الذي يراد به الكل وغير ذلك. أمـا الأدباء والبيانيون فقد حددوا نشاطهم بالبحث في أساليب التجوز القائمة على التخييل والتمثيـل بقصد إثارة النفس وتحريكها نحو أمر من الأمور ترغيبا فيه أو ابتعادا عنه.

وكان العز من الأصوليين الذين أفادوا البلاغة بجهده الموصول ولا سـيما فـي كتابـه "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" إذ جعله في بابين لا غـير، وتنـاول الحقيقـة والمجاز بالدراسة في الباب الثاني منه.

ومما اختص به أنه لم يقسم المجاز إلى أنواعه المعروفة وإنما تحدث في المجاز حديثـا عاما، وجمع بين أضربه وعلاقاته وذكر أنواعا من التعلقات المصححـات للمجـاز كتجـوز العرب بلفظ العلم عن المعلوم وبلفظ المعلوم عن العلم، وأغلب التعلقات التي ذكرها لا نجدهـا في كتب البلاغة، وإنما هي من بحوث الأصوليين والفقهاء الذين يعنيـهم فـهم القـرآن، لأن مقاصدهم غير مقاصد علماء البيان وقد تناول العز بن عبد السلام ضروبا كثيرة مما يتصـل بالمجاز المرسل والعقلي والاستعاري ولكنه لم يسمها بمصطلحاتها التي عرفت بها في بيئـة البلاغيين. وإنما اكتفى بالإشارة إلى علاقاتها مع تدعيمه لها بالشواهد والأمثلة.

كما يعدّ العز من أوائل من حاولوا تبيين المجاز في القرآن على هذا النحو العريض الذي جمع بين آراء البلاغيين والأصوليين بين دفتي كتاب واحد لدراسـة أسـمى كتـاب عرفتـه البشرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استعاض العز عن الرسوم والحدود والتعريفات لأقسام المجاز، بوضع اليد على تلك الأقسام ممثلة في النص القرآني والنصوص الأدبية الأخرى، وتلك طريقة المتذوقين، بخلاف ما نلمح في صنيع من سبقه من البلاغيين الذين اهتموا بالتعريفات كالمناطقة وعلماء الكلام.

وكان العز ماهراً في كتاب الله تعالى تناول المجازات فيه من خلال الإيحاءات والأسرار التي تفهم من وراء التعبير القرآني الكريم، وفَصَّل القول فيما احتوى عليه القرآن من ألوان المجاز وفنونه وضروب الحذف ومحاسنه، وإيجاز الأمثال، وروعة التضمين وما في القرآن من ألوان الخطاب التي خاطب بها العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم، ولعله بذلك رد على منكري المجاز في القرآن الكريم واللغة العربية.

وقد تناول في كتابه " الإشارة إلى الإيجاز" موضوعا جديرا بالاهتمام في مجال الدراسات البلاغية، وهو دراسة القرآن الكريم دراسة تطبيقية مفصلة لشرح ظاهرة المجاز فيه. أما في مصادره البلاغية، فقد تأثر بما كتبه عبد القاهروالشريف الرضي والفخر الرازي ، ولكنه لم يُشِر إلى هؤلاء، ولعل سبب ذلك أنه استوعب ما كتبوه ثم أضاف إليه بأسلوبه الخاص على طريقة الأصوليين.

ورغم أنّ العز تأثر بكتابات الأصوليين إلا أنّ مصادره الأصولية غير واضحة في كتابه، إذ جاء تصوره عن المجاز موافقا لآرائهم حيناً، ومخالفاً حيناً،فجاء كتابه مزيجا بين آراء البلاغيين والأصوليين، وقد نهج نهجه بعض البلاغيين كالخطيب القزويني، ودار في فلكه من لحقه من الأصوليين كالسيوطي والزركشي.

وليس التطبيق في مسائل البلاغة كالتطبيق في مسائل النحو والعروض، وذلك لأنه يسهل على النحوي أن يطبق فكرا وأصولا نحوية على نص يدرسه ويصعب على البلاغي أن يطبق أصولا بلاغية على نص يدرسه ولهذا كان تذوق النص الأدبي جزءاً من منهج الدراسة الأدبية[١] ومن ثم يمكن القول إن تطبيق العز القرآني في كتابه الإشارة لأصول الحقيقة والمجاز وأضربهما من إضافاته وقد أضفى عليها من حسه و ذوقه.

في التأثير:

لقد ظهر في الفصل الثاني من البحث مدى تأثر العز بمن قبله، وقد صرح بذكر بعضهم دون أن يذكر المصدر الذي نقل منه، ومنهم: سيبويه وأبو علي الفارسي وأبو موسى الأشعري والباقلاني والزمخشري،[٢] ومنهم من لم يصرح بأسمائهم كالرماني، وعبد القاهر الجرجاني، وابن قتيبة، والشريف الرضي، وابن عطية.

---

[١] محمد حسين أبو موسى،البلاغة القرآنية ، ص٣٧.

[٢] انظر على سبيل المثال كتاب الإشارة الصفحات التالية: ٤٦، ٤٩، ٥١، ٦٢، ١٩٤، ١٩٥، ٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ٧٤، ١٥٤، ١٦٢، ٣٢٩، ٣٣٠، ٥١، ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تأثير العز فيمن بعده، فواضح ، سواء أفي مباحث الأصوليين أم البلاغيين، وقد نقل عنه الخطيب القزويني وتابعه في ذلك السعد وسلسلة الشراح، وابن قيم الجوزية والسيوطي والزركشي.

وقد نقلوا عن العز في أماكن متفرقة، وعلى مساحة فسيحة من صفحات كتبهم، وصرح بعضهم بذلك دون أن يشير إلى المصدر الذي نقل عنه، وذلك أمثال ابن قيم الجوزية، والسيوطي والزركشي.

أما الخطيب القزويني ومن تابعه، فلم يشيروا إلى المصدر الذي نقلوا عنه، وكأنهم كرهوا أن يكون لأحد الأصوليين فضل التأثير على البلاغة عند البيانيين.

ويكاد النقل يكون حرفيا في هذا الباب ويتبدى ذلك عند النظر في كتب هؤلاء المتأثرين بالعز، وسأورد على سبيل التمثيل ثبتاً للأبواب التي اشتركوا في ذكرها، ومواضعها في هذه الكتب.

وكان بدر الدين الزركشي هو وحده الذي لم يتقيد بنص العز، إذا كان · تارة ·· ينقل النص كاملاً وتارة يتصرف به وتارة ثالثة يضيف إليه.

وقد أفاد ابن قيم الجوزية كثيراً في كتابه "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن" من كتاب الإشارة إلى الإيجاز.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

م الظاهرة المتفق على ذكرها	موضعها من كتاب العز ٦٦٠هـ	موضعها من كتاب الإيضاح ٧٣٩هـ	موضعها من المطول ٧٩٣هـ	موضعها من الفوائد المشوق ٧٥١هـ	موضعها من الاتقان في علوم القرآن ٩١١هـ	موضعها من البرهان في علوم القرآن ٧٩٤هـ
ريف المجاز	ص١٨	-	-	ص١١	-	-
مع بين الحقيقة والمجاز	ص١١٢	-	-	ص٨٦	-	-
از المجاز	ص١١٢	-	-	ص٣١	ج٢ ص١٠٠	ج٢ص٣١١-٣١٢
از اللزوم	ص٥٨	-	-	ص٢٨	-	-
جوز في الأسماء	ص١٩	-	-	ص٣١	-	-
جوز في الحروف	ص٢٠	-	-	ص٣٦	-	-
جوز في الأفعال	ص٢٦	-	-	ص٣٢،ص٤٢	-	-
از التشبيه	ص٦٤	-	-	ص٤٣	ج٢،ص١٥٠-١٥٥	ج٢ص٤٣٤،٤١٥
ف وأدلته (شروطه)	ص٢-١٨	ص٣٠٥-ص٣١٩	ص٢٩٠	ص٧٣-٨٠	ج٢ ١٥٠-١٥٥	ج٣ص١٠٨-١١١
ضمين	ص٥٤	-	-	ص٢٧	ج٢ص٩٦-٢٤٧،٩٧	ج٣ص٣٣٨-٣٤٦
كناية	ص٦٣	-	-	-	ج٢ص١١٨-١١٩	ج٢ص٣٠
جوز بالسبب عن المسبب	ص٣٨	ص٤٢٠-ص٤٣١	ص٣٥٦	ص١٦	-	-
جوز بالمسبب عن السبب	ص٣٩			ص١٨		
جوز باسم الجزء عن الكل	ص٤٨	ص٤١٩	ص٣٥٦	ص٢٢	-	ج٢ص٢٦٩
جوز بالكل عن الجزء	ص٥٠	ص٤٢٠	-	ص٢٣	-	-
سمية الشيء باسم ما كان عليه	ص٥١	ص٤٢٣	ص٣٥٦	ص٢٥	-	-
سمية الشيء باسم ما يؤول إليه	ص٥٢	ص٤٢٣	ص٣٥٦	ص٢٥	-	-
لاق اسم البشري على المبشر به	ص٣٣		-	ص١٣	-	ج٢ص٢٦٦
سبة الفعل إلى سبب سببه	ص٤٦	ص١١٤	-	ص٢٠	-	ج٢ص٢٥٩
سبة الفعل إلى الآمر به	ص٤٦	ص١١٥	-	ص٢٠	-	-
لاق الاسم على المسمى	ص٣٤	-	-	ص١٣	-	ج٢ص٢٩٧
جوز بلفظ العموم عن الخصوص	ص٣٥	-	-	ص١٥	-	ج٢ص١٩٨
جوز بلفظ اليمين عن المحلوف	ص٣٥	-	-	ص١٣	-	ج٢ص٢٩٨
خبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم	ص٤٧	-	-	ص٢١	-	-
نزيل المتوهم منزلة المتحقق	ص٥٢	-	-	ص٢٦	-	-
جوز بلفظ الفعل عن مقاربته	ص٥١	-	-	ص٢٥	-	-
ثيل في القرآن	ص١٠٠،٢١٣	ص٤٦٢	-	-	ج٢ص٣٦٤	-

ويمكن توضيح منهج العزفي بلاغته القرآنية،وما امتازت به في النقاط التالية:

١- دارت معظم أمثلته حول القرآن الكريم، وضمها في كتاب وكانت نماذج متناثرة في كتب البلاغيين.

٢- جمع الحذف في موضع واحد وحدد المجاز فيه، ولم يقصر المجاز فيه على حذف المضاف.

٣- استقصى ما في القرآن الكريم من حذف المضاف حسب ترتيب السور التنازلي.

٤- أول من حدد الأدلة التي تعين على تقدير المحذوف.

٥- لم يعرف الحذف بأنواعه المتعددة من المجاز إلا على يدي العز، وسار على نهجه البلاغيون المتأخرون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- طوع العز التطبيقات الفقهية للمسائل البلاغية.

٧- يعد العز مبتكرا لمجاز الحروف ومجاز الأفعال ومجاز التضمين ومجاز التعقيد ومجاز المجاز.

٨- كان العز سابقاً في القول بمجازية الصيغ التي تخرج عن دلالتها، وتحديد نوعية المجاز فيها، وينسب إليه فضل التصريح والابتكار.

٩- أثرى البلاغة بالشواهد والأمثلة من القرآن والحديث مما لم نره عند من سبقه من البلاغيين والأصوليين على السواء.

أما ما يؤخذ على بلاغة العز القرآنية:

١- توسع العز في المجاز وأفرط فيه إفراطا غير محمود في بعض الأحيان، وقد جعله ذلك عرضة للنقد والتجريح كما فعل بعض النقاد المحدثين.

٢- اكتفى بتحليل بعض الشواهد وترك معظمها دون تحليل.

٣- لم يناقش التعريفات والمصطلحات البلاغية واكتفى بمجرد التطبيق والتمثيل فاقتصد في ذكر المصطلحات وشرحها وولى وجهه شطر الدرس العملي التطبيقي.

٤- تداخلت عنده القضايا فقط كان يضع عنوانا للفصل ثم يخلط فيه أكثر من أمر.

٥- أدخل في كتابه مباحث أخرى بعيدة كل البعد عن العنوان الذي حدده للكتاب، نحو الفصل الأخير من الكتاب الذي تحدث فيه عن مقاصد القرآن الكريم والتكرار، ومنهجه في التفسير، وأقسام التفسير وغير ذلك.

٦- وقف على المعاني وحدها وأبان ما في الآيات من مجاز، ولم يعلق على القيمة الأدبية لشواهده كما فعل البلاغيون.

٧- لم يتسق في عرض المسائل البلاغية فقد أسهب في موقع وأوجز في موقع آخر.

ومجمل القول إن ما أُخذَ على العز غير داخل في صلب الموضوع، وهو من الأمور الهامشية باستثناء توسعه في المجاز وإفراطه فيه.

اللهم وفّقنا لفهم كتابك، والعمل بما فيه، والتخلق بأخلاقه، والوقوف على أسراره ومعانيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

أ- المصادر:

- الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي محمد(٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحد الأفاضل، القاهرة.

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط١، م٢، تحقيق الشيخ كامل عريضة،دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨م.

- الأدفوي كمال الدين أبو الفضل(٧٤٨هـ)، الطالع السعيد الجامع الأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، المطبعة الجمالية، مصر ١٣٣٢هـ - ١٣١٤م.

ابن أبي الإصبع المصري العدواني (٦٥٤هـ):

- بديع القرآن، ط١، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أمرؤ القيس بن حجر، الديوان، شرح محمد الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت.

الباقلاني، القاضي أبو بكر (٤٠٣هـ):

- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ط٣، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر(٧٩٣هـ)، المطول على التلخيص، حاشية السيد الشريف، مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ

- ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.

- أبو تمام، الديوان شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده دار المعارف مصر.

- الجرجاني عبد القاهر (٤٧١هـ) أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.

- دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٩٥م.

- ديوان جرير بن عطية، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) الخصائص،ط٤،م٣، تحقيق محمد علي النجار ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استنبول ١٣٥١هـ.

- ديوان الخنساء، دار الكتب العلمية بيروت.

- فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥.

- الداودي، محمد بن علي بن أحمد(٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد(٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، الكويت (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦).

- ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

- الرماني (٣٧٦هـ) والخطابي (٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط٢،تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(٧٩٤هـ):

- البرهان في علوم القرآن،م٤، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء التراث، القاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

- طبعة أخرى تقديم مصطفى عبد القادر عطا دار الفكر بيروت ١٩٨٨م.

- الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، وفي حاشيته كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين ابن المنيّر الإسكندري المالكي (٦٨٣هـ) ط١، م٤، تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد(٤٨٦هـ)، شرح المعلقات مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى، ط١، المطبعة الحسينية المصرية. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.

- السكاكي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم ط٢،ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (١٨٠هـ)، الكتاب، ط٣،م٤، تحقيق عبد السلام هارون عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

السيوطي جلال الدين (٩١١هـ):

- الإتقان في علوم القرآن، م٣، تحقيق عصام الحرستاني، درا الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٨٧م.

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، م٥، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، م٢، تحقيق علي البيجاوي دار الفكر العربي، ١٩٦٩م.

- الشافعي، محمد بن ادريس، الرسالة، ط١، دار النفائس بيروت، ١٩٩٩م.

الشريف الرضي (٤٠٦هـ):

- تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط١، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- الشوكاني، محمد بن علي (١٥٢٠هـ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط١، م٤، تحقيق، شعبان محمد إسماعيل، دار السلام مصر، ١٤١٨هت - ١٩٩٨م.

- طاش كبرى زادة (٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- الطيبي، الحسين بن عبد الله بن محمد(٧٤٣هـ)، التبيان في علم البديع والبيان تحقيق هادي عطية، مطبعة عالم الكتب، دمشق، ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى(٢١٠هـ) مجاز القرآن، ط١، تحقيق محمد فؤاد سزكين الناشر محمد الخانجي مصر، ١٩٥٤م.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ) أحكام القرآن، تحقيق علي البيجاوي مطبعة عيسى الباري الحلبي.

العز بن عبد السلام عز الدين الشافعي (٦٦٠هـ):

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز،ط١، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- طبعة أخرى تحقيق محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥.

- الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق رضوان غربيّة، دار البشائر الإسلامية، دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- فوائد في مشكل القرآن، ط٢، تحقيق سيد رضوان الندوي دار الشروق جدة ١٩٨٢.

- مختصر تفسير الماوردي، تفسير القرآن للشيخ سلطان العلماء اختصار النكت للماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ)، ط١، تحقيق عبد الله الوهيبي دار ابن حزم، بيروت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل (٣٩٥هـ) كتاب الصناعتين، " الكتابة والشعر"، ط٢، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٤م.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الغرناطي(٥٤١هـ)، تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، م٢٤،تحقيق الرحالي الفاروق وآخرون، الدوحة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.

- العلوي، يحيى بن حمزة (٤٧٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م٣، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٢م.

- ابن العماد الحنبلي شهاب الدين أبو الفلاح(١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ط١، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط دار ابن كثير دمشق بيروت ١٤١٢هـ ٠ ١٩٩١م.

- ديوان عنترة بن شداد، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

الغزالي أبو حامد (٥٠٥هـ):

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- إحياء علوم الدين،ط١، م٣، تحقيق سيد إبراهيم دار الحديث، القاهرة.
- المستصفى من علم الأصول ومعه كتاب فواتح الرحموت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
- ابن فارس الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق عمر الطباع مكتبة المعارف بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الفراء، أبو زكريا (٢٠٧هـ) معاني القرآن، تحقيق أحمد نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

ابن قتيبة الدينوري ،أبو محمد عبد الله بن مسلم(٢٧٦هـ):

- تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- أدب الكاتب، ط١، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- القزويني، جلال الدين الخطيب، (٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة ط١، تحقيق عبد القادر حسين مكتبة الآداب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- وطبعة أخرى، ط٦، تحقيق محمد خفاجي وعبد العزيز شرف دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- القزويني التلخيص في علوم البلاغة ضبط وتعليق عبد الرحمن البرقوقي - دار الكتاب العربي ١٩٣٢.
- ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن شاكر الكتبي محمد (٧٦٤هـ) فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥١.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط١، دار ابن حيان، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر بيروت ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن النديم، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- ديوان أبي نواس، ضبط إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ط٣، تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله ، دار الفكر، بيروت.
- ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد(٧٦٨هـ)، مرآة الزمان وعدة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، م٥، منشورات مؤسسة الأعظمي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المراجع:

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ط١، مطبعة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٦.
- أحمد أمين، النقد الأدبي، ط٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١.١٩٦٣
- أحمد بدوي من بلاغة القرآن ط٣، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار القلم بيروت.
- أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت.
- أمين الخولي، مناهج تجديد، في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط١،١٩٦١.
- الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الأخبار. ١٩١١.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط١، تحقيق محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط٨، دار المعارف، ١٩٩٢م.
- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط١، مؤسسة نويهض الثقافية،بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- عبد الرحمن مراد، عز الدين بن عبد السلام، سلطان العلماء، حياته وعصره، دار الجيل دمشق.

عبد العظيم المطعني:

- التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز، دار الأنصار القاهرة.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٢م.
- المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين الإجازة والمنع، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٥.
- عبد الفتاح الحموز، التأويل النحوي في القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد القادر حسين:

- أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة.

- فن البلاغة، عالم الكتب.

- القرآن والصور البيانية، ط١، عالم الكتب.

- عبد الله الوهيبي، العز بن عبد السلام حياته وآثاره، ومنهجه في التفسير، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٩.

- علي الفقير، الإمام العز بن عبد السلام سلطان العلماء، ط١، دار أنس بن مالك، عمان، ١٩٨٩م.

- فتحي أحمد عامر:

* المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية.

* فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤.

- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط٣، دار الفرقان عمان، ١٩٩٢م.

- محمد أبو موسى، التصوير البياني، مكتبة وهبة.

- محمد بدر عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

- محمد بركات أبو علي، دراسات في الإعجاز البياني، ط١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٠م.

- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

- محمد حسن عبد الله، عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك، مكتبة وهبة،مصر، ١٩٦٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Imam al Iz Ibn Abd al Salam's

(660 A.H) Kora'nic Rhetoric

by

Hussein Ahmad Hussein Kittanah

Supervisor

Prof. Muhammad Barakat Hamdi Abu ᶜAli

In spite of the fact that rhetoric and its related topics had their distinct place in Ibn ᶜAbd al-Salam's thorough research within the domain of the Kora'nic, juristic and scholastic sciences, rhetric did not obtain the amount of care that Ibn ᶜAbd al-Salam's gave to his purely Kora'nic studies.This is because Ibn ᶜAbd al-Salam was famous for his fundamental views more than for his linguistic ones; he studied rhetoric within the Kora'nic framework. Therefore, his study of the Kora'nic rhetoric was best described as applied. In studying the loftiest book ever known, Ibn ᶜAbd al-Salam drew heavily on the thoughts of the fundamentalists and the specialists in rhetoric.Though he benefited from his ancestors, he did not always agree with what they wrote. He sometimes commented on their views and added to them.

Ibn ᶜAbd al-Salam was a great scholar who devoted himself to studying the rhetoric of the Holy Kora'n in its various aspects. He delved into the Kora'nic texts in order to find illustrate the areas of beauty and thus to how great the book is and how powerful the Arabic language is.

Ibn ᶜAbd al-Salam's enormous potential as a scholar was dis played in his book (*al-Isharatu Ila al-Ijaz*) *A Reference to Brevity* in which he tackled a importanc etopic in the field of rhetorical studies. The signifcance of this study was shown through the fact that it presented a detailed applied study of the aspects of rhetoric in the Holy Kora'n. The concise analysis which characterized Ibn ᶜAbd al salam's thorough research in the secrets of the Holy Kora'n was what distinguished him as a great scholar.

Ibn ᶜAbd al-Salam had an impact upon the fundamentalists and rhetoricians that followed him. Of those were al–Qazwini, al-Saᶜd , Ibn

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

al-Qaiym , al-Zarkashi al-Sayuti, and a group of explainers. Although drew heavily on Ibn ᶜAbd al-salam's. words, they refused to acknowledge the favour of earlier fundamentalists on them.

Ibn ᶜAbd al-Salam's explanatory short accounts and his contributions to the Kora'nic rhetoric witnessed to his distinct postion and to the vital role he played in this field of knowledge. Not only did he creatively discuss certain topics related to the rhetoric of the Holy Kora'n, he lso participated in shedding light on certain terms. His sharp mind and delicate taste for the verses of the Holy Kora'n contributed to the appearance of a list of Kora'nic rhetorical terms which he presented in a fascinating way when he explained them by citing examples from the Holy Kora'n.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit